

موقف الشيخ محمد بن عمر الهواري (ت 843هـ / 1439م) من السلطة The position of Sheikh Muhammad bin Omar Al-Hawari (d. 843 AH / 1439 AD) on the authority

د. سعداني محمد (*)

جامعة وهران 1، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية/ وهران (الجزائر)،
andalus479@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/05/ 18 تاريخ القبول: 2026/05/ 18 تاريخ النشر: 2023/06/ 08

شهد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ظاهرة التصوف و المتصوفة، والتي امتدت جذورها عموديا وأفقيا، بحيث صارت مؤثرا فاعلا في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقوة مركزية تحشد وراءها كل فئات المجتمع وطبقاته، مما لفت انتباه السلطة الحاكمة إلى التعامل مع هذه القوة الصاعدة، ومحاولة احتوائها أو إلغائها أو التحالف معها، ومن هنا، ظهرت ثنائية المتصوفة والسلطة. و نتج عن ذلك تباين مواقف شيوخ التصوف من السلطة خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين، و لعل من أبرزهم، الشيخ الصوفي محمد بن عمر الهواري نزيل وهران، وفي هذا السياق، تأتي هذه الدراسة لتبحث في طبيعة العلاقة التي ربطت هذا الشيخ الصوفي بالسلطة الحاكمة، والأسباب الكامنة وراء هذه العلاقة وتحليلاتها التاريخية.

الملخص

المغرب؛ التصوف؛ الهواري؛ وهران؛ السلطة.

الكلمات الدالة

Abstract
:

During the eighth and ninth centuries Hijri, the Islamic Maghreb saw the phenomenon of Sufism and Sufism, which extended its roots vertically and horizontally, so that it became an effective influence in political, social, economic and cultural life, and a central force behind which all segments of society and its classes mobilized, which drew the attention of the ruling authority to dealing with this rising power. And the attempt to contain it, abolish it, or ally with it, and from here, the dualism of Sufism and power emerged. As a result, the positions of the Sufi sheikhs differed from authority during the eighth and ninth centuries AH, and perhaps the most prominent of them, the Sufi Sheikh Muhammad bin Omar al-Hawari, a guest of Oran, and in this context This study comes to check the nature of the relationship that linked this Sufi sheikh to the ruling authority, and the reasons behind this relationship and its historical manifestations.

Keywords: Sufism; al-Hawari ; Oran ; authority ; Maghreb.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

الملاحظ أن المتصوفة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ينقسمون في مواقفهم من السلطة إلى ثلاث فئات، فئة ربطت علاقتها بالسلطة بعدم الثورة عليها و منافستها و تعاملت معها بالنصيحة والمساعدة والمباركة و التأييد ، وفئة ثانية من المتصوفة وقفت من السلطة موقف الانعزال والابتعاد واجتناب القرب منها وعدم التعامل معها و الرد على طلباتها و تبادل الشورى معها، وفئة ثالثة أظهرت رفضها للسلطة و قابلتها بالنقد و المعارضة¹.

و مما سبق، نروم في هذه الدراسة تسليط الضوء على موقف الشيخ محمد بن عمر الهواري من السلطة و استكشاف إلى أي الفئات الثلاث ينتمي، و تتبع تجليات هذا الموقف و خلفياته التاريخية وأسبابه، و لهذا سنتطرق إلى التعريف بالشيخ الهواري أولا ثم التطرق إلى توضيح هذا الموقف و أبعاده

2. التعريف بالشيخ محمد بن عمر الهواري:

1.2 . نسبه و ولادته:

صرح الشيخ محمد الهواري باسمه واسم والده في أرجوزته " السهو في أحكام الطهارة والصلاة " قائلا:

نظمه العبد الفقير للباري ابن اعمر محمد الهواري²

فمن خلال هذا البيت المنظوم يتضح أن اسمه محمد واسم والده اعمر بزيادة همزة وصل في أول اسم عمر، وقد نسب نفسه إلى قبيلة هواة البربرية.

والجددير بالذكر، أن ابن سعد أورد في كتابه "روضة النسرین" نسب الشيخ محمد الهواري قائلا أنه " محمد بن عمر بن عثمان سبع بن عياشة بن سيد الناس بن خير الغياري المغربي المعروف بالهواري"، ناقلا هذا النسب بخط الشيخ إبراهيم التازي خليفة الشيخ الهواري³، و يكنى الشيخ الهواري بأبي عبد الله⁴.

وأما ولادة الشيخ الهواري، فقد ولد سنة 751هـ، وذلك اعتمادا على السنة التي أكمل فيها حفظ المدونة وكتب فيها نظمته المسمى "السهو في أحكام الطهارة والصلاة"، وهي سنة

776هـ، وكان عمره خمس وعشرين سنة⁵، أما مكان ولادته، فاستنادا على انتمائه إلى قبيلة هوارة وفي نفس الوقت انتسابه إلى قبيلة مغراوة، ورفعاً للتناقض، رأى أحمد بن سحنون الراشدي بأن نعمل "إحدى النسبتين على الوطنية والأخرى على الأصلية"⁶، بمعنى أنه هواري الموطن والنشأ ومغراوي الأصل و النسب والقبيلة، لأن بعض عناصر قبيلة المغراوة الزناتية، والتي ينتسب إليها الشيخ الهواري، سكنت "قلعة هوارة"، وهي قلعة أسستها قبيلة هوارة البربرية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، والتي تسمى أيضا بقلعة بني الراشد، وهي الآن بلدية من بلديات جنوب غرب ولاية غليزان على الحدود مع ولاية معسكر، ويُطلق عليها اسم "القلعة"⁷.

و أورد محمد بن يوسف الزباني في "دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار وهران" أن ولادة الشيخ الهواري ونشأته كانت بمغراوة في مدينة وهران وأحوازا وأن تربيته وترعرعه كانت بقلعة هوارة، وذلك في قوله "ولما نشأ في مغراوة وترى في هوارة قيل له تارة المغراوي وأخرى الهواري و هي الأكثر"⁸، وهذا النص يشير إلى أن أسرة عمر والد الشيخ الهواري كانت مستقرة بمدينة وهران أو قريبا منها حيث موطن قبيلة مغراوة، وبعد ولادة الشيخ الهواري هاجرت إلى قلعة هوارة.

2.2 نشأته وتعلمه:

يلاحظ، أن من اعتنى بتعليم الشيخ محمد الهواري في طفولته والده عمر الذي كان — كما وصفه صاحب "روضة النسرين" — من حملة القرآن، و من أكابر قومه وأفاضلهم معروفا بالكرم والإيثار، وعلو الهمة في أمور الدنيا والآخرة، فاختار لولده معلما "صالحا فاضلا عابدا اسمه "علي بن عيسى" لتعليمه القرآن وتأديبه⁹.

وقد أكد والد الشيخ الهواري على مؤدب ولده بأن يحبه في العلم وأن لا ينفره باستعمال الضرب بالسطوط، وقد لاحظ المؤدب على تلميذه الهواري أثناء تعليمه أن أحواله تغلب عليها الغفلة والفتور، فظن المؤدب أن ذلك نوع من البله الذي يظهر على الصبيان، فأمر المؤدب تلميذه الهواري بالفطنة والحذق، و وزجه وضربه أحيانا¹⁰.

ولكن لما علم والد الشيخ الهواري بحال ولده ومعاملة المؤدب له ،طلب من المؤدب أن لا يضرب ولده و أن يتركه على ماهو عليه قائلا له: " يا فقيه لا تضربه ودعه على حاله فإني أودعته لخالفه سبحانه وتعالى، وإني أرجو من الله أن يجعله من الصالحين، لأنه ليس كالأولاد ما يطلب على طعام ولا شراب، ولا وقفت له من قط على كذبة.. فإن ذلك من جملة التسديد والتوفيق الذي ينشأ عليه الشباب الذي يخصه الله بولايته ويخصه لعبادته"، وطاعته¹¹.

والظاهر، أن والد الشيخ الهواري من خلال كلامه مع المؤدب، قد رسم لولده الطريق الذي يسلكه في حياته العلمية، وهو طريق التصوف و حياة الزهاد والعباد و الأولياء، لهذا أرسله لأحد الشيوخ الأولياء ليتربى على يديه ويأخذ عنه أخلاق المتصوفة و يباركه¹².

والظاهر، أن والد الشيخ الهواري من خلال كلامه مع المؤدب، قد رسم لولده الطريق الذي يسلكه في حياته العلمية، وهو طريق التصوف و حياة الزهاد والعباد و الأولياء، لهذا أرسله لأحد الشيوخ الأولياء ليتربى على يديه ويأخذ عنه أخلاق المتصوفة و يباركه¹³.

فقد ذكر ابن سعد أن الشيخ الهواري "خرج من وطنه بعد حفظه للقرآن و هو دون العشر من السنين، فدخل كلميتو"¹⁴، فوجد بها شيخا من أولياء الله في غار أو خلوة فدعا له أن يكون من أهل الطريق"¹⁵، وهكذا، بدأ الشيخ الهواري منذ صغره يميل إلى مسلك التصوف و طريق الأولياء الصالحين، و ذلك بفضل والده الذي كان يعمل على تعزيز وتعميق وتكوين الاتجاه الصوفي في نفس وعقل ولده الصغير، بعدما اقتنع أن أحواله النفسية والعقلية والسلوكية تحمل في باطنها نزع نحو العزلة والزهد والتقشف و الميل إلى أخلاق الزهاد والعباد .

3.2 . سياحته¹⁶ ورحلته مغربا ومشرقاً:

أ_ سياحته الصوفية:

ذكر من ترجم للشيخ الهواري أنه "كان كثير السياحة شرقاً وغرباً براً و بحراً"¹⁷، والتي كانت في وقت مبكر، حيث ذكر ابن سعد أن الشيخ الهواري، بعد أن حفظ القرآن، وعمره عشر سنوات رحل من وطنه "قلعة هواره" بصحبة و بتوجيه و إشراف من والده ، إلى شيخ معروف بالولاية والصلاح، قد اتخذ مغارة بـ"كلميتو" للخلوة والتعبد، ليدعو له ويوجهه إلى

طريق التصوف¹⁸، و اللافت للانتباه، أن المصادر التاريخية لا تذكر لنا شخصية هذا الشيخ الولي الذي بارك الشيخ الهواري في صباه و دعا له ودعاه إلى سلوك سبيل المتصوفة، و الراجح، فإن هذا الشيخ الغامض في اسمه و أصله قد بذر البذور الأولى للتصوف في عقل و قلب الشيخ الهواري وهو مازال صبيا صغير السن.

و الملاحظ، أن الشيخ الهواري تأثر بدعوة و مباركة ذلك الشيخ الولي، فواصل سياحته الروحية التصوفية التعبدية، فأورد ابن سعد في "روضة النسرین" إلى أن الشيخ الهواري مع مطلع شبابه "خرج من وطنه مهاجرا إلى الله إلى سبيل أهل الإرادة مقبلا على طلب العلم والعبادة"¹⁹، سائحا تعبدا، ف"طاف في البلاد شرقا و غربا، و تحوّل في الصحاري الخالية البعيدة من العمران، و في جزور الحر على قدم التجريد و التوكل فكان في سياحته يُخالط السباع و الوحوش العادية فلا يخاف منها"²⁰، و في ضوء هذا النص المناقبي، يرى بعض الباحثين أن هذه المرحلة من السياحة تدخل ضمن التربية الصوفية للشيخ الهواري²¹.

ب. رحلته مغربا:

وبعد أن خاض الشيخ الهواري سياحته الصوفية، أردفها برحلته للتزود من العلم الشرعي، فقصده حاضرة بجاية التي كانت مركزا يجمع أعلاما كبارا من الفقهاء و المتصوفة²²، فأخذ الشيخ الهواري العلم عن الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت. بعد 760هـ)²³، والذي "كان واحد قطره في حفظ مذهب مالك متفنتا في المعارف و العلوم جمع بين العلم الغزير و الدين المتين"²⁴، وصفه تلميذه عبد الرحمن بن خلدون بـ "كبير العلماء ببجاية"²⁵، و لكثرة صلاته أطلق عليه بفاراش السجاد، و كان كثير الصدقة و الصوم، متبعا للسلف الصالح متواضعا صبوراً و أعماله جميعها سرا²⁶، فكان بذلك يُصنف ضمن جنس الفقهاء الصوفية ببجاية، لهذا أظهر ممارسة التصوف ممارسة بتأسيسه لزاوية حملت اسمه بقريته أيلولة في أعالي جبال جرجرة²⁷.

فمن غير المستبعد أن يتأثر الشيخ الهواري بالشيخ أحمد بن إدريس الفقيه الورع الزاهد العابد، و يتخذ قدوة له في غزارة الفقه و سلوك طريق الزهد و الورع و التصوف، و التوجه نحو

ال عمران الصوفي ببناء زاوية ينطلق منها ليث أخلاق المتصوفة ومشاريعهم الأخلاقية والتربوية والاجتماعية.

وكذلك، أخذ الشيخ الهواري العلم عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي (ت. 786هـ)²⁸، الموصوف بمفتي بجاية و الفقيه والعالم والصالح²⁹، و عُرف بكتابه "الأحكام الفقهية على مذهب مالك" المشهور باسم "الوغليسية"، حيث مزج في كتابه بين فقه العبادات وأسرارها، مكرّزا على الجانب الروحي التربوي جامعا بين مخاطبة العقل والقلب لتحقيق الكمال الأخلاقي في الإنسان متبعا في ذلك منهج الغزالي في إحيائه، وهو بذلك جمع بين الفقه والتصوف، ولهذا يُعتبر الوغليسي مثل الشيخ أحمد بن إدريس ينتميان إلى تيار الفقهاء الصوفية، والذي كان موجودا بقوة في حاضرة بجاية خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين³⁰، و ممّا لا شك فيه فإن هذا التيار قد ترك بصماته العميقة في عقل وروح الشيخ الهواري، حتى أننا نلاحظ في سيرته العلمية والصوفية أنه برع في الفقه كما ظهر رسوخه في الممارسة الصوفية.

والجدير بالملاحظة، أن الشيخ الهواري وهو بحاضرة بجاية، لفت انتباهه أخلاق سكان هذه المدينة، ممّا جعله يثني على أهلها "كثيرا لمحبّتهم الغرباء والفقراء"³¹ و "محافظتهم في معاملتهم على الحلال"³². و اجتنابهم المعاملات الربوية.

لو وصفت لك ما ريت في بجاية وهي هيا بلد الورع والعلم وتراي حقيقيا³³
ممّا يدل على ميل الشيخ الهواري نحو التصوف الاجتماعي، والذي سيظهر عليه وعلى خليفته إبراهيم التازي في وهران بعد بناء زاويتهم.

وبعد أن استقر الشيخ الهواري في حاضرة بجاية "أعواما مواصلا الاجتهاد في قراءة المنقول منها و المفهوم، واستظهر هناك حفظ كثير من الكتب... ودرس المدونة البراذعية وبلغ فيها إلى كتاب الصيد"³⁴، رحل إلى مدينة فاس، فأخذ العلم عن الشيخ أبي عمران موسى بن مُجّد بن معطي العبدوسي (ت. 776هـ/1374م) عالم حاضرة فاس و "مدرسها وعالمها ومفتيها"³⁵، و كان من كبار الفقهاء، و "آية في معرفة المدونة أقرأها نحواً من أربعين سنة وله

مجلس لم يكن لغيره يحضره الفقهاء والمدرسون والصلحاء³⁶، وهذا يدل على مكانة هذا العالم ورسوخه في علم الفقه المالكي.

وكذلك، تلقى الشيخ الهواري وهو بحاضرة فاس الفقه على يدي الشيخ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، المعروف بالقباب (ت. بعد 780هـ)³⁷، وصفه لسان الدين بن الخطيب في "الإحاطة" بأنه "فقيه نبيل مدرك جيد النظر سديد الفهم"³⁸، وحلاه التنبكتي بقوله "الإمام العلامة الصالح، أحد محققي المتأخرين من الحفاظ المشهورين بالدين والصلاح والتقدم في العلوم"³⁹، والفقه.

ومكث الشيخ الهواري بحاضرة فاس أعواما يقرأ على شيوخها، وأكمل حفظ المدونة، وألف أول كتاب له سماه "السهو في أحكام الطهارة والصلاة" أو "المؤانس"، وهو نظم في مسائل فقهية، وكان عمره حينئذ خمس وعشرين سنة، وذلك في سنة 776هـ، وقد مارس وهو في مدينة فاس التعليم، حيث "كان طلبة فاس يقرؤون عليه القرآن والكتب العربية، والفقه"⁴⁰ وما يتعلق به من مسائل.

جـ رحلته مشرقا:

وبعد أن تنقل الشيخ الهواري إلى حاضرة بجاية ثم إلى حاضرة فاس طالبا للعلم، رحل إلى المشرق قاصدا بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، فدخل مصر والتقى بجماعة من العلماء، وأخذ عنهم العلم، ومن أبرزهم الحافظ العراقي (725هـ - 806هـ)⁴¹، وهو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الزين أبو الفضل الكُردي، قال عنه ابن الجزري في "طبقات القراء" "حافظ الديار المصرية ومحدثها وشيخها"⁴².

ثم انتقل إلى مكة والمدينة مؤديا فريضة الحج ومتعبدا متنسكا، فمكث فيهما مدة، وبعد ذلك توجه نحو بيت المقدس للصلاة بها، وتنقل في بلاد الشام وزار جامع الأموي بدمشق⁴³، ثم أتمى رحلته قافلا إلى وطنه ببلاد المغرب.

دـ عودته إلى بلاد المغرب واستقراره في وهران:

الظاهر، أن كل من ترجم للشيخ الهواري لم يحدد لنا مسار رحلته مغربا ومشرقاً بالسنوات، ولهذا تعذر علينا التعرف على السنة التي دخل فيها من المشرق إلى بلاد المغرب، واستقر بمدينة وهران، والذي نعرفه أنه بعد أن أنهى رحلته مشرقاً، عاد إلى بلده المغرب، واختار مدينة وهران مقراً له⁴⁴، ليمارس فيها نشاطه التصوفي والتعليمي والإصلاحي، وبالفعل، فقد قام الشيخ ببناء زاويته⁴⁵ بمعونة من خليفته إبراهيم التازي (ت. 866هـ/1032م)⁴⁶، وأسس لنفسه مكانة دينية واجتماعية بين سكان وهران خصوصاً، وبين الخاصة من العلماء والفقهاء والمتصوفة وبين العامة من كل فئات المجتمع في أقطار بلاد المغرب عموماً، بحيث عُرف عنه مثابته "على العلم والعمل، والصدق في الأحوال"⁴⁷، "وانتفع من اجتماع به"⁴⁸، وصار معروفاً بـ "شيخ الشيوخ المشهود له بالثبوت والرسوخ"⁴⁹، و"المقطوع له بالولاية"⁵⁰ والصلاح⁵¹. وأما مؤلفاته، فهي قليلة وجلّ موضوعاتها في الفقه، مما يدل بوضوح على أن الشيخ الهواري جمع بين التصوف وفقه، ومن أهم كتبه، كتاب "السهو في أحكام الطهارة والصلاة"، وهو كتاب متوسط عبارة عن أجوبة تُدرس للصبيان، وكتاب "التنبية"، وهو شرح مختصر لكتاب "السهو"، والغرض من هذين الكتابين التدريس وتسهيل حفظ العلم وتيسير تلقينه⁵². كما ألف كتباً أخرى مثل "التسهيل، والتبيان، وتذكرة السائل"⁵³.

و- وفاته:

عُرف الشيخ الهواري في أيامه الأخيرة من عمره أنه كان "أكثر كلامه في مجالسه التبشير بسعة رحمة الله وعفوه"⁵⁴، وقد نقل ابن سعد عن الشيخ إبراهيم التازي بخطه تاريخ وفاة الشيخ الهواري، فذكر بأنه كان "صبيحة يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثاني من سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة"⁵⁵ الموافق لـ 21 سبتمبر 1439م⁵⁶.

3. موقف الشيخ محمد بن عمر الهواري من السلطة:

في الحقيقة، يجد الباحث صعوبة في استحضار نصوص تاريخية صريحة ومفصلة تكشف موقف الشيخ الهواري من السلطة المتمثلة في وقته بالملكة الزيانية في المغرب الأوسط أو بالملكتين الحفصية والمرينية بالمغربيين الأدنى والأقصى، فالمصادر التي ترجمت للشيخ الهواري

قليلة جدا بحيث لا نجد إلا مصدرا وحيدا كان الأقرب إلى عصر الشيخ الهواري وهو الكتاب "روضة النسر في التعريف بالأشياخ الاربعة المتأخرين" لابن سعد التلمساني الذي توفي في سنة 901هـ/1496م.

و الظاهر أن هذا الكتاب ليس تدوينا تاريخيا بالمعنى العلمي بل هو من أدب المناقب حيث نجده يتسم بالاختزال والمسحة الصوفية ومحشوا بالكرامات والمكاشفات والتجريد، مما جعل المعلومات التاريخية الواردة فيه شحيحة وغير دقيقة ولا مفصلة و لا مضبوطة، ثم كل المصادر التي جاءت بعده اعتمدت عليه اعتمادا كلياً، وعلى رأسها مصدران، وهما "نبيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكي (ت. 1036هـ) و"البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" لابن مريم التلمساني (كان حيا سنة 1025هـ).

بعد فتح وهران الثاني سنة 1206هـ/1792م، في مطلع القرن الثالث عشر الهجري و إخراج المحتل الإسباني منها⁵⁷، ظهرت مؤلفات اهتمت بسيرة الشيخ الهواري و كراماته، وقد أرخت لهذا الفتح وتعرضت للدعاء الذي دعا به الولي الهواري على سكان وهران الذي لا نجد له ذكر في المصادر الثلاثة السابقة، وأن هذا الدعاء كان سببا لاحتلال الاسبان لوهران.

وهذه الكتب يمكن حصرها في كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الوهراني" لأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (ت. 1211هـ/1796)، و كتاب "الرحلة القمريّة في السيرة المحمديّة"⁵⁸ لمحمد المصطفى بن عبد الله بن زَرْزَفَة الدّحاوي (ت. 1215هـ)، و كتاب "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار"⁵⁹ لأبي راس الناصري المعسكري (ت. 1238هـ/1823م).

ثم بعد ذلك، ظهرت مؤلفات تكرر ما ورد في الكتب السابقة من سيرة الشيخ الهواري وكراماته ودعائه على مدينة وهران وسكانها، وهذه المؤلفات تتمثل في كتاب "دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار وهران" لمحمد بن يوسف الزياتي (ت. 1277هـ/1861م)، و كتاب "القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط"⁶⁰ للشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي (ت. 1301هـ/1883م)، وأيضا كتاب "طلوع سعد السعود في أخبار

وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى القرن التاسع عشر⁶¹ للآغا بن عودّة المازري (ت. بعد عام 1304هـ / 1897م).

وعليه، وبسبب شح المادة التاريخية فيما يتعلق بعلاقة الشيخ الهواري بالسلطة، فإنني سأعتمد على بعض الاشارات الواردة في النصوص التي فصلت في كرامات الشيخ الهواري ومكاشفاته، وفي شذرات نجدتها في المصادر التي اهتمت بتاريخ المملكة الزيانية وبالمغرب الأوسط.

هناك إشارة تبين الموقف الفاصل الذي اتخذته الشيخ الهواري من السلطة والسلطان، وهذه الإشارة نجدتها في ثنايا كرامة من الكرامات، والتي أوردها ابن مريم في "بستانه"، و خلاصة هذه الكرامة، أن السلطان أبا فارس عبد العزيز الحفصي لما أراد التوجه إلى تلمسان للسيطرة عليها في عهد السلطان الزياني أبي العباس أحمد العاقل، خشي هذا السلطان على نفسه و حكمه من دخول السلطان الحفصي، فلم يجد مخرجاً إلاّ اللجوء إلى الشيخ الحسن بن مخلوف، مستنجداً به وطالبا منه المشورة في ثلاثة أمور، وهي إما الفرار إلى الأندلس من خلال مرسى هنين، أو يبقى في تلمسان ينتظر مجيئه، أو يسارع الذهاب إليه⁶².

ولكن الشيخ الحسن بن مخلوف رد عليه أنه لا يعرف الجواب، و لكن نصحه بالاتصال بالشيخ محمد الهواري المقيم بوهران، و يبعث له كتابا يشرح له الأمر بواسطة خادمه المسمى "بختي"، فأرسل الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف إلى الخادم، "فحضر والسلطان جالس، و قال له السلطان: أحب أن تأتيني بجواب الشيخ ناجزا، فالتزم بذلك، وكتب له السلطان بعد أن أطلع من عند الشيخ، وطبع بطابعه على مكتوبه، ودفعت الكتاب إلى الشيخ بختي خديم الشيخ سيدي الهواري".⁶³

وبعد وصول خادم الشيخ الهواري إلى مدينة وهران، يريد تسليم كتاب السلطان الزياني إلى شيخه، و إذا بالشيخ سيدي الهواري يصرح له بأنه "لا حاجة لنا بصحبة السلطان، و ما الذي ساقنا إليه؟"⁶⁴، فهذه العبارة من الشيخ الهواري تكشف لنا عن موقفه من التعامل مع

السلطة والسلطان، وهذا الموقف الذي يقوم على القطيعة و اجتناب التواصل مع الحكام و الملوك و استلام رسائلهم والاستماع إليهم والرد على مطالبهم.

ويبدو أن الشيخ الهواري استجاب لرسالة السلطان الزياني، ليس حبا في التقرب من السلطان، بل بسبب أن الكتاب جاء بواسطة الشيخ سيدي الحسن مخلوف، لهذا لما "سمع بذكر الشيخ سيدي الحسن في القضية انشرح صدره حينئذ بعض انشراح..." ثم قال الشيخ الهواري لخدمه: "خذ من صاحبك البشارة، وقل له إن السلطان أبا فارس لا تراه ولا يراك أبدا"⁶⁵.

فمن خلال هذه الحادثة يتضح جليا أن الشيخ سيدي الهواري كان يجتهد في الابتعاد عن كل ما له علاقة بالسلطة و السياسة والحكم، و لعل ذلك راجع إلى تأثيره بصوفية مدرسة الحقيقة والشريعة، التي اشتهرت بحاضرة بجاية خلال القرن الثامن الهجري، وضمت شيوخا مزجوا بين الفقه والتصوف، وكونوا بما يسمى بتيار الفقهاء الصوفية، ومن أبرز هؤلاء الفقهاء الصوفية اثنان من شيوخ الشيخ الهواري البارزين، وهما أحمد بن إدريس و عبد الرحمن الوغليسي، وقد عُرف عنهما الابتعاد عن الأمراء والسلاطين ورفض هباتهم وأعطياتهم، وتحريمهم على تناول الحلال الطيب و كسب قوتهم بعرق جبينهم⁶⁶.

وقد كان للشيخين أحمد بن إدريس وعبد الرحمن الوغليسي و كل من انتمى إلى تيار فقهاء الصوفية تأثير واضح على الناحية الأخلاقية والاجتماعية لحاضرة بجاية، جعل أهلها يشتهرون بالإحسان إلى الفقراء والغرباء و تحريمهم في معاملاتهم على الحلال، ويُعدهم عن الربا، مما جعل الشيخ الهواري يسجل ثنائه على سكان بجاية بسبب اتصافهم بطيبة الأخلاق و حبهم لتناول الحلال في معاملاتهم⁶⁷.

والظاهر، فإن الشيخ الهواري اقتدى بشيخيه البجائيين في موقفهما من السلطة، فكان يرى في الاقتراب من السلطان انحرافا في سلوكه التصوفي وخروجا عن التيار الذي ينتمي إليه، وهو تيار الفقهاء الصوفية، الذي يعتمد على الزهد و الورع وتحري الحلال في المعاملات، والبعد عن شبهة الحرام أو الظلم، ولهذا كان التعامل مع السلاطين في نظر الشيخ الهواري هو اقتراب من تناول الحرام والمشاركة في الظلم والفساد و خروج عن مسار التصوف الصحيح.

و الملاحظ، أن موقف الشيخ مُجَّد الهواري من السلطة يتوافق مع مواقف جماعة من العلماء والفقهاء الصوفية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ومنهم معاصره العالم الزاهد الصوفي عبد الرحمن الثعالبي (ت. 875هـ)، الذي فضل اعتزال الأمراء و الناس جميعا، مشيدا بالذين " لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم"، و صار على هذا الطريق تلميذه الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري⁶⁸.

و قد اعتنق الشيخ مُجَّد بن يوسف السنوسي (ت. 895هـ) مذهب اعتزال السلطان و أعوانه متأثرا بالشيخ مُجَّد بن عمر الهواري الذي كان "يقصده لزيارته والتبرك به بوهرا" ⁶⁹، ومتبعا في ذلك سيرة شيخه عبد الرحمان الثعالبي وإبراهيم التازي⁷⁰، حيث كان يعتبر الابتعاد عن الحاكم الظالم هو شيمة العلماء⁷¹، و " ييغض الاجتماع بأهل الدنيا، والنظر إليهم وقربهم"⁷² فإذا رأى " خواص السلطان،... تعوذ بالله ورجع لطريق آخر"⁷³، و كان حريصا على عدم إجابة دعوة السلطان للحضور في مجلسه وقراءة التفسير في حضرته، و يرفض رفضا قاطعا قبول الأعطيات منه، و يكره الكتابة للأمراء⁷⁴.

و من جهة أخرى، نجد الونشريسي في "المعيار" يشير إلى هذا الاتجاه الذي يدعو إلى اجتناب مخالطة السلطان، فيصرح أن " أن شر العلماء علماء السلاطين"، وأن العلماء كلما اقتربوا من السلطة، أدى هذا إلى الانتقاص من قيمتهم وكرامتهم، لأن الحاكم يريد أن يستخدمهم لخدمته والدعاية لنفسه، وأن يُسخرهم لتحقيق أغراضه الخاصة⁷⁵، و لهذا، يُرجح أن السبب البارز في انصراف عدد من العلماء نحو العزلة و سلوكهم طريق الزهد والتصوف هو ما وجدوه من ضغوطات مارسها السلطان الظالم عليهم، و مطالبته لهم بالسكوت عن طغيانه وفساده⁷⁶.

و الجدير بالملاحظة، أن انعزال الشيخ الهواري عن السلطة و اجتنابه التعامل مع السلطان ليس معناه السعي نحو التمرد السياسي والعصيان الاجتماعي و الثورة المسلحة، بل ارتباط الشيخ الهواري بعقيدة أهل السنة والجماعة، جعلته يلتزم بالدعوة إلى طاعة السلطان و عدم الخروج عليه، والثورة عليه، والامتناع كلية عن الممارسة السياسية والانكباب فقط على

العمل الديني والتربوي والاجتماعي⁷⁷، وبالتالي، يمكن وصف المقاطعة التي تبناها الشيخ الهواري مع السلطة بالمقاطعة السلمية.

ولهذا نجد أن الشيخ الهواري لما رجع من رحلته المشرقية، لم يتخذ تلمسان مقرا له، رغم حضور أعلام التصوف والفقهاء والعلم بها، ولم يستوطن حاضرة بجاية، رغم إعجابه بها وثناؤه على سكانها، واتجه إلى مدينة وهران، ولعل السبب الخفي وراء ذلك⁷⁸، هو أن حاضرتي تلمسان وبجاية هما مركز الملك والسلطة الزيانية أو الحفصية، وحضوره بهاتين المدينتين قد يسبب له الاحراج والضيق بسبب لجوء حكام هاتين المدينتين إليه إما تقربا وتبركا أو طلبا للمساعدة والنصيحة أو تضيقا وتشويشا، بينما مدينة وهران التي اختارها الشيخ الهواري وطنا له، كانت بعيدة عن قبضة السلاطين، وليست مقرا سياسيا لهم.

و رغم أن الشيخ الهواري اجتهد في الانعزال عن كل ما له علاقة بالسلطة ومقاطعتها واجتناب التواصل بها، إلا هناك إشارات على وقوع تصادم ومواجهة بين الشيخ الهواري والسلطة المتحكمة في مدينة وهران، وهي السلطة الزيانية أو من ينوب عنها، حيث أشار ابن سعد في "روضة النسر" أن "كثيرا من ولاية وهران وعمالها الذين سبقت لهم الشقاوة فحملتهم النفس الأمانة بالسوء على التهاون بحرم الزاوية (يقصد زاوية الشيخ الهواري) وإخراج من استجاز بحرمها فينتقم الله من فاعل ذلك في الوقت ويأخذه من الجانب الذي يطمن إليه، ويظهر عليه أثر غضب الله في نفسه، وماله، وولده حتى لا يستقيم له حال، لا في الوقت ولا في الاستقبال..."⁷⁹، وفي هذا النص المقتضب فيه إشارة أن نواب السلطة الزيانية من الولاة والعمال منهم من تعدى على زاوية الشيخ الهواري، والقبض على من احتفى بها، وتسبب في الانتقاص من مكانة الشيخ الروحية والاجتماعية.

والجدير بالذكر، فإن المؤرخ أبي راس الناصري في مؤلفه "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار" صرح أن من كان يتعدى على الشيخ الهواري و زاويته هم الزيانيون، وهو هنا يتفق مع ابن سعد التلمساني في أن ولاية الزيانيين وعمالهم على وهران هم وراء الاعتداء على الشيخ

الهواري و زوايته، ولكن أضاف أبو راس الناصري أن العدوان وصل إلى قتل أحد أولاد الشيخ الهواري، دون أن يذكر لنا تفاصيل هذا الصدام وسببه.

فهو يقول أن " سبب أخذ النصارى لوهرا، دعاء الشيخ الهواري بذلك لما قتل بنو زيان ولده و حضر هذه الدعوة علي الأصفر التلمساني وأنذرهم تلميذه الشيخ إبراهيم التازي بقصيدة تائية...⁸⁰ "، ثم المؤرخ صاحب الرواية يقف هنا دون أن يحدد لنا السنة التي وقعت فيها هذه الحادثة أو يذكر لنا من هو السلطان الزياني الذي كان وراء مقتل أحد أولاد الشيخ الهواري، و السبب الكامن خلف جريمة القتل، و اسم الابن المقتول.

و الملاحظ أن هناك رواية أخرى تتعلق بالصدام الذي وقع للشيخ الهواري في مدينة وهران تتسم بالعموم و الضبابية و الاختزال، و أصحاب هذه الرواية ثلاثة كُتاب ، أولهم أحمد بن مُجَّد بن علي بن سحنون الراشدي في مؤلفه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، و ثانيهما هو المصطفى بن عبد الله المعروف بابن زرفة الدحاوي، والذي أَلَّفَ رحلة سماها " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، وثالثهم أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي مؤلف كتاب "القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط"، و الثلاثة تناقلوا الرواية نفسها حرفياً، حيث اتفقوا على أن الشيخ الهواري دخل في مواجهة مع سكان وهران ، و بسبب هذه المواجهة قُتل أحد أبنائه، مما دفع هذا الشيخ الهواري إلى الدعاء على من قتلوا ولده بأن يسلط الله عليهم النصارى الاسبان⁸¹.

والاختلاف بين أبي راس و الكتاب الثلاثة يكمن فيمن تعدوا على الشيخ الهواري وعائلته،، حيث يذكر أبو راس الناصري أن المتسبب في قتل ابن الشيخ الهواري هي السلطة الزيانية، بينما نجد أن ابن زرفة و أحمد بن مُجَّد الراشدي و أحمد بن عبد الرحمن الشقراني يقررون أن الذين اصطدموا مع الشيخ الهواري وتسببوا في مقتل أحد أفراد عائلته هم سكان وهران عموماً، لهذا كان دعاء الهواري على كل مدينة وهران ، و أن عقابها الآتي هو أن تقع تحت الاحتلال النصراني الاسباني.

حيث أن صاحب كتاب " الرحلة القمرية في السيرة الحمديدية " ذكر أن من سلم مدينة وهران للنصارى الاسبان _ طبعا حسب ذهنية ذلك العصر _ هو " الشيخ العارف بالله سيدي محمد الهواري رحمه الله، لما تعدى أهلها على ولده فقتلوه ظلما... " ⁸²، فجعل ابن زرفة المتسبب في التعدي على ولد الشيخ الهواري هم سكان وهران بدون تمييز ولا تعيين.

و الظاهر، أن أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي يكرر نفس رواية ابن زرفة ناقلا النص نفسه حرفيا، حيث وضع ذلك بقوله " و ذكر صاحب (حزب العارفين) ⁸³... هو (يقصد الشيخ الهواري) الذي باع وهران للنصارى لما قتلوا ولده... والناظم صرح بأنهم آذوا هذا الولي الذي كان بين أظهرهم، وعطبوه في أهله وجيرانه، فروى أنهم قتلوا ولده، فدعا عليهم، وباع وهران للطغيان بيعا بلا استثناء ولا إقالة... " ⁸⁴، فصاحب هذا النص يؤكد على حادثة مقتل ولد الشيخ الهواري، و أن كل سكان وهران شاركوا في هذه الجريمة، مما تسبب هذا في غضب الشيخ الهواري من أهل وهران و الدعاء على هذه المدينة بأن يحتلها النصارى الإسبان و تقع تحت سيطرتهم.

والملاحظ أن رواية ابن زرفة وأحمد بن محمد الراشدي و أحمد بن عبد الرحمن الشقراني فيها نوع من المبالغة والاختلاق و تجاوز الحقيقة والواقع و المعقول ، بحيث جعلوا الشيخ الهواري هو من "سلم" و "باع" مدينة وهران للنصارى الاسبان، ولعل من اختلقوا هذه الشائعة أرادوا بيان أن الاعتقاد السائد والذهنية المسيطرة على العقول في ذلك العصر تتجلى في حرمة الأولياء والصلحاء وتقديسهم واحترامهم طاعتهم طاعة تامة، وأن الخطر المحدق على كل من يتعدى على القطب الولي العارف الشيخ، القاطع " لأوداج الظلمة، ما تعرض له أحد إلا عاجله الله بالهلاك " ⁸⁵ و " يظهر غضب الله عليه في أهله وماله وولده ونفسه، حتى لا يستقيم له حال في الوقت " ⁸⁶، و تكون نهايته الذلة والهوان.

لهذا نجد المؤرخ أبي راس الناصري بعدما أثبت أن دعاء الشيخ الهواري هو سبب احتلال الاسبان في كتابه " عجائب الأسفار ولطائف الاخبار "، يتراجع عن تأييد هذه الرواية، وينفيها في كتابيه "الحلل السندسية" و "الخبر المغرب" لتنافي ذلك مع الواقع التاريخي، حيث يؤكد أن

الاحتلال الاسباني لم يدخل "... لوهراة لدعوة الشيخ الهواري كما توهم الناس، بل احتلت وهران بعد وفاته باثنين وسبعين سنة، وبعد وفاة تلميذه إبراهيم التازي بثمان وخمسين سنة"⁸⁷، و حتى المصادر القريبة من عصر الشيخ الهواري مثل "روضة النسرين" و "نيل الابتهاج" و "البستان" لم تذكر مثل هذه الرواية الزائفة والتي هي أشبه بالأسطورة ، رغم أن هذه المصادر كانت الأقرب إلى عصر الشيخ الهواري.

ثم إن هذه الدعوة تحمل زيفها من مضمونها، لأنه مهما وصل الغضب بالشيخ الهواري على سكان مدينة وهران، فمن غير المعقول والمقبول والمشروع بأن يرضى بدخول النصارى الكفار الاسبان إليها، فيعتنقون فيها فسادا وظلما وقهرا، وهو المرئي، والولي الصالح المتصوف، وإلا فلا فائدة ولا أثر لعلمه، وتصوفه، و تزعمه للأولياء الصالحين والعلماء الراسخين في عصره.⁸⁸

بل إن ابن سعد في " روضة النسرين" يصرح بأن الشيخ الهواري كان في أخريات أيامه يغلب على حاله ومقاله و في مجالسه مع الناس " التبشير وفوائد التسيير، و ذكر ما عند مولانا سبحانه من سعة الغفران، والتجاوز عن السيئات، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين..."⁸⁹.

و الجدير بالذكر، فإن الشيخ محمد الهواري كان يربي طلبته على المسامحة والتحلي بالعفو والصفح واجتناب الانتقام، والتعامل مع الخلق بقلب لا يحمل الغل والحقد والضغينة ، و أن تكون العلاقة التي تربطهم بالناس علاقة الطبيب بمرضاه، يريد لهم الشفاء والرحمة و الخير ويبدل جهده في إصلاحهم و هدايتهم ومنعهم من الهلاك والأذى والمصائب، ففي كتاب "التنبية"، يشير الشيخ الهواري إلى هذه القيم والأخلاق موجهها خطابه إلى تلاميذه مرشدا ومؤدبا قائلا :

تلميذي نحب يكون يا صبي شبيه طبيب

وقلبو يكون أبيض كلبنا يكون أحليب⁹⁰

و الالفت للانتباه، أن ابن سعد في " روضته" استدلل بهذه البيتين للشيخ الهواري على أن تلميذه و خليفته الشيخ إبراهيم التازي تشرب من شيخه قيم التسامح والعفو و الحلم، فظهر ذلك في سلوكه و حاله، حيث ناصبته بمدينة وهران فئة من الناس العداوة، وهي " جماعة من الجهلة العظام المتشبهين في فنههم ورياستهم بسفلة العوام، ينتقدون عليه أحواله في لباسه و

مأكله، ويحتجون عليه مخالفته لصفات الشيخ سيدي محمد الهواري في ذلك، وهم يعلمون أنه كان على تلك الصفة في حياة سيدي محمد وعلى نظره، فسول لهم الشيطان الكبر والحسد والتنافس... فكانوا ينكرون كرامة الله المودعة عند سيدي إبراهيم، ويتعرضون بالقول والفعل لأصحابه، فإذا بلغه ذلك تبسم وحمل أصحابه على الحلم والتجاوز... ويقول لهم: ليس منا من انتصر لنفسه، وإنما ينتصر الله لنا"⁹¹، وبهذا اكتفى في مواجهة خصومه بعدم الرد عليهم إلا بالتي هي الأحسن اقتداءً بشيخه الهواري.

و الملاحظ، أن هذا موقف من الشيخ التازي تجاه أعدائه، هو ثمرة تربية الشيخ الهواري و أثر من آثار توجيهاته لتلاميذه وطلبته، مما يؤكد أن سيرة الشيخ الهواري نحو منائئه لم تكن الانتقام و الدعاء بالهلاك والدمار و إنما كانت قائمة على الحلم و الرد بالإساءة بالإحسان، و إرادة الإصلاح و الدعوة إلى الخير و الفلاح.

فهذا الوصف لحال الشيخ الهواري المربي القدوة مع تلاميذه، المتسامح الراغب في العفو الصفح والرحمة في أيامه الأخيرة من عمره ينقض الرواية السوداوية القائمة التي تداولتها مؤلفات القرن الثالث عشر الهجري و بعده عن الشيخ الهواري، والتي تصوره على أنه شخصية عنفية و منتقمة و غاضبة و ناقمة و حادة الطباع. ثم كيف يبلغ الغضب بالشيخ الهواري حتى يدعو بتسليط النصارى على مدينة وهران و قد جعل زاويته حرما و ملجأ لمن يستغيث به⁹².

و الملاحظ، أنه ظهرت بعد ذلك مؤلفات أخرى تؤكد ما ورد في الرواية السابقة الواردة في كتاب " الرحلة القمرية " و " الثغر الجماني في الابتسام الوهراني "، ولكن مع إضافات جديدة تتعلق بابن الشيخ الهواري المقتول و ظروف قتله، وهذه المؤلفات يمكن حصرها في كتابين، أولهما كتاب " دليل الحيران و انيس السهران في أخبار وهران " للشيخ محمد بن يوسف الزباني.

وثانيهما كتاب " طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى القرن التاسع عشر " للأغا بن عودة المزاري، و الذي اقتبس جل كتابه من كتاب " دليل

الحيران"⁹³، ولهذا، فالحقيقة أن الذي أثبت الرواية التفصيلية لمقتل ابن الهواري في كتابه، ولا نجد لها إلا عنده، هو محمد بن يوسف الزباني، والآغا بن عودة المازري ما هو إلا مجرد ناقل.

ومضمون الرواية الواردة في كتابي "دليل الحيران" و "طلوع سعد السعود" "أن أهل (وهران) بغوا على ولده (ولد الشيخ الهواري) سيدي أحمد الهائج وقتلوه ظلما وعدوانا بالحلل المسمى به الآن وهو (الهائج)، وواديه يقال له (وادي الهائج)"⁹⁴، وادعوا عليه إنه هائج عليهم بغير حق سمع بذلك الشيخ وسكت، فحرضته زوجته أم الولد المذكور على أخذ ثأر ولده بالانتقام من أهل (وهران)... قال لهم الشيخ: لأي شيء قتلتم ولدي، يا أهل وهران، لأنه ثمة فؤادي وقرة عيني و بؤسة مني؟ فقالوا له: لأنه ارتكب ذنبا وثبت عليه وقتلته الشريعة، فقال لهم: من حكم بقتله من ساداتنا العلماء؟ فقالوا له: لا نحتاج في ذلك إلى حكم حاكم، وإنما رأينا الشريعة قتلته قتلناه، فقال لهم: أنتم قتلتم بزعمكم أن الشريعة قتلت ولد الهواري... وإن كان قولكم في الظاهر مقبول، ففي الباطن ولدي ناج وكلامكم محلول..."⁹⁵.

ثم يذكر الكاتبان أنه بسبب قتل أهل وهران لابن الهواري، "...سَلَّمَهَا (ﷺ) للنصارى، لأنه سلطان مصرها، ومتولي أمرها، وكان من الذين لو أقسموا على الله لبرّ الله قسمهم"، فأطلق الشيخ الهواري دعائه على مدينة وهران، ونصه "روحي يا (وهران) الفاسقة، يا كثرة الجور والبغي والطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة، إني بعثك بيعة موافقة لنصارى (مارقة) و (جالقة)، إلى يوم البعث والتالفة، مهما ترجعي فأنت طالقة"⁹⁶.

و الظاهر، القائل الوحيد بالرواية المذكورة سابقا هو محمد بن يوسف الزباني في كتابه "دليل الحيران"، وكل من ذكرها بعده فهو ناقل عنه، ثم الجدير بالانتباه أن هذه الرواية لا نجد لها أصلا في المصادر القريبة من عصر الشيخ الهواري، بل حتى ابن زرفة في رحلته و أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي في "الثغر الجماني" لم يتعرضا لذكر اسم ابن الشيخ الهواري ووصفه بالهائج ولا سبب قتله وظروف مقتله، وهذا مما يُفقد رواية محمد بن يوسف الراشدي والآغا بن عودة المازري مصدقيتها و تجعل الباحث يشك في صحتها و يُرجح أنها من نسج خيال الرواة، ومن المنقول الشفوي الذي تتناقله العامة بدون تحقيق ولا تحييص، أو من الشائعات التي روج

لها الاحتلال الاسباني أو الاستعمار الفرنسي لغرض غرس عقيدة الاستسلام و الخنوع للمحتل و القضاء على روح المقاومة و الجهاد.

مما سبق، نستشف أن هناك روايتان تؤكدان حدوث صدام و مواجهة بين الشيخ الهواري و فئة من سكان وهران، الرواية الأولى تقول أن السلطة الزيانية بواسطة نوابها من الولاة و العمال هي من تعدت على الشيخ الهواري و ارتكبت جريمة قتل أحد أبنائه دون أن نعرف سبب ذلك، وهذه الرواية قال بهذه الرواية ابن سعد في "روضة النسرين" في القرن التاسع الهجري ولكن دون ان يتطرق إلى حادثة مقتل ابن الشيخ الهواري، و أورد هذه الرواية أيضا المؤرخ أبو راس الناصري في كتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" خلال مطلع القرن الثالث عشر هجري، ولكن أضاف أن الزيانيين هم من قتلوا ابن الشيخ الهواري.

والرواية الثانية تجعل من كل سكان وهران مشاركون في قتل ابن الشيخ الهواري عدوانا و ظلما، والذي مال إلى هذه الرواية و أكدها ابن زرفة و أحمد بن محمد الراشدي وأحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي و محمد بن يوسف الزياني و الآغا بن عودة المازري. واللافت للانتباه، أن حادثة مقتل ابن الشيخ الهواري ظهرت بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني والذي دام ثلاثة قرون و ربع قرن، لأن المصادر التاريخية التي ترجمت للشيخ الهواري قبل غزو الاسبان لمدينة وهران لم تذكر جريمة مقتل ابن الشيخ الهواري على يد الزيانيين أو على يد سكان وهران.

و الجدير بالذكر، أن واقعة قتل ابن الشيخ الهواري، سواء من الزيانيين، أو من سكان وهران، تحتاج إلى مناقشة و تحقيق، و أرجح عدم وقوع مثل هذه الجريمة، و أنها من اختلاق الرواة، و شائعة من الشائعات، و الدليل على ذلك، أن جريمة مقتل أحد أبناء الشيخ الهواري، حدث مهم و بارز في مدينة وهران و ما حولها، بحيث لا يمكن أن يخفى على ابن سعد المعاصر للشيخ الهواري، و القريب من الشيخ إبراهيم التازي، حيث كان والد ابن سعد يزور مدينة وهران مرارا، و كان مقربا من الشيخ إبراهيم التازي، بحيث كان يدعو له و لولده ابن سعد، و يسأل عن والده، و يعطيه من ماله⁹⁷، وكذلك، فإن شيوخ ابن سعد هم تلاميذ للشيخ إبراهيم

التازي⁹⁸، فلو حققا، مات ابن الشيخ الهواري مقتولا، لعرف ذلك ابن سعد بواسطة والده أو أحد مشايخه، ومستحيل مثل ذلك الحدث الجلل يخفى عليه، أو يعلمه ولا يثبت في كتابه "روضة النسرين".

ثم ابن سعد، أثبت في كتابه "روضة النسرين" أخبار عن مضايقات وقعت من كثير من عمال و ولاية وهران، والتي تمثلت في محاولتهم الاعتداء على حرمة زاوية الشيخ الهواري، و اخراج من يحتمي بها بالقوة والعسف⁹⁹، ولعل مقتل ابن الشيخ الهواري أخطر و أعظم من مثل هذه المضايقات، و أجدر بالذكر والتوبيخ والتهويل و التنديد، ولكن ابن سعد أثبت تلك المضايقات الواقعة على زاوية الشيخ الهواري من عمال و ولاية وهران ولم يذكر غيرها، مما يدل على أن جريمة قتل ابن الشيخ الهواري مجرد توهم وقع فيه بعض رواة الأخبار، إذ لو كانت هذه الجريمة حقيقة ثابتة، لكان أول من ينشرها ويؤكددها ويندد بها ابن سعد القريب جدا من مدينة وهران و ما يحدث فيها.

و بناءً على ما سبق، فإن الرواية القريبة من الواقع التاريخي و الأرجح هي الرواية التي تجعل من السلطة الزيانية وعمالها و ولائها هم المتسببين في العدوان على الشيخ الهواري وعلى عائلته و زاويته، لأن من أشار إلى ذلك ابن سعد التلمساني الذي عاصر الشيخ الهواري و خليفته إبراهيم التازي¹⁰⁰، بالإضافة إلى ذلك، فإنه من غير المعقول أن كل سكان وهران يتحملون مسؤولية مقتل ابن الشيخ الهواري، واتهامهم كلهم بهذا الجرم بدون تخصيص ولا تعيين. لكن هل فعلا أن السلطة الزيانية كانت تحاول التضيق على الشيخ الهواري و زاويته بمدينة وهران، حتى وصل بها الأمر إلى التخلص من أحد أبنائه بالقتل؟ وهل الزيانيون كانت سياستهم المواجهة مع طبقة المتصوفة و محاصرتهم والتعدي عليهم؟ أم أن زعماء التصوف بالمملكة الزيانية كانوا يعاملون معاملة حسنة و يلقون كل الاحترام و التبجيل؟

الملاحظ، أن المتصوفة نالوا مكانة هامة عند سلاطين بني عبد الواد الزيانيين¹⁰¹، حيث تميزت العلاقة بينهم وبين شيوخ التصوف بالاحتراف والتقدير و التبجيل للمتصوفة، و الاعتقاد في بركة الأولياء الصالحين و تقديسهم¹⁰²، و يبرز ذلك في تعامل مؤسس الدولة الزيانية

يغمراسن (633هـ - 681هـ / 1236م - 1282م) مع شيوخ الصوفية، حيث كان يسعى لنيل بركاتهم، معجبا بهم، مظهرها تقديسه لهم¹⁰³، فقد أورد صاحب "بغية الرواد" "أن الفقيه أبو عبد الله بن عيسى من أهل أجادير، رجل صالح عالم ورع، حج خمسا وعشرين حجة، وكان ذا مكاشفات، يأتيه أمير المسلمين أبو يحيى يغمراسن رضوان الله عنه، إلى محله التماسا لدعائه، و عناية جُبل عليها بالصالحين أمثاله..."¹⁰⁴.

وكذلك، فإن الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط، الرجل الصالح، كان يكثر من الدخول على السلطان الزياني يغمراسن ليطلب منه قضاء حوائج الناس، "فربما دخل عليه في اليوم الواحد سبعين مرة فقليل لأمر المسلمين في ذلك، فقال: دعوه فهو رحمة للناس..."¹⁰⁵، ومن شدة تعلق السلطان يغمراسن بمحبة الصالحين و التقرب منهم، أوصى أبنائه بأن يكون قبر الشيخ الولي الصالح أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق بجوار قبره تبركا به¹⁰⁶.

واقفى أولاد الأمير الزياني يغمراسن سيرة والدهم في تقرب المتصوفة والتبرك بهم، فهذا ابنه أبو سعيد عثمان (681هـ - 1283م / 703هـ - 1303م) بعد توليه الحكم أمر ببناء ضريح إبراهيم الغوث المكنى بابي إسحاق الطيار بالعباد طلبا للبركة والقرب¹⁰⁷، بل نجد السلطان الزياني أبو زيان محمد بن أبي حمو الثاني (796هـ - 1394م / 801هـ - 1399م) يؤلف كتابا "نحا فيه منحى التصوف سماه "الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة"¹⁰⁸.

و تظهر العلاقة الوثيقة و الصلة المتينة بين السلطة الزيانية والمتصوفة في عهد السلطان الزياني أبي العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني (834هـ - 1430م / 866هـ - 1462م) حيث اهتم اهتماما بالغا بصديق الشيخ الهواري المقرب منه الشيخ الحسن بن مخلوف الشهير بابرکان، حيث أكد التنسي في "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" أن أبو العباس أحمد العاقل الزياني "كانت له عناية عظيمة بولي الزاهد، القطب الغوث، شيخ الزهاد وقُدوة العباد، السيد أبو علي الحسن بن مخلوف، فكان يكثر من زيارته ويقتبس من اشارته، ومدار أكثر

أموره عليه، وبني بزايته مدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافا جلييلة...¹⁰⁹ ليبرهن بذلك عن تبجيله للأولياء الصالحين و تودده إليهم.

وقد سبق، وذكرنا أن السلطان الزياني أبا العباس أحمد العاقل بعث للشيخ الهواري كتابا بواسطة الشيخ الحسن بن مخلوف، ليشاوره في أمر قدوم السلطان الحفصي أبي فارس عليه بتلمسان، و تحوفه من مواجهته، فكان جواب الشيخ الهواري الرفض في أول الأمر بسبب موقفه الراض من التعامل مع السلطة الحاكمة، إلا أنه رد عليه لأجل ترضية صديقه الشيخ الحسن بن مخلوف، و بشره بأن السلطان أبا فارس الحفصي لن يدخل تلمسان أبدا، فلما وصل الخبر إلى السلطان الزياني أحمد العاقل بواسطة الشيخ بخي خادم الشيخ الهواري " فرح فرحا شديدا عظيما، و أعطى للشيخ بخي عشرين دينارا على تبليغ البشارة، و تسببه فيها"¹¹⁰، فأظهرت هذه الحادثة تلك العلاقة الطيبة و الحسنة التي كانت تربط هذا السلطان الزياني بالمتصوفة عموما وبالشيوخ الحسن بن مخلوف و الهواري خصوصا.

واللافت للانتباه، أن الشيخ محمد الهواري كانت له مكانة رفيعة و احترام كبير من سلاطين بني زيان، بسبب شهادة علماء عصره بعلو مرتبته في الولاية والصلاح، فقد أورد ابن سعد أن " ملوك الوقت و أرباب الدنيا يعظمون قدره ويهابونه لما كانت مشيخة الوقت، وأكابر العلماء يعترفون له بالصديقية"¹¹¹، ويكثرون من الثناء عليه.

و الجدير بالذكر، أن السلطة الزيانية استمرت في توددها وتقربها وتبركها و تقديم التبرعات والمساعدات لخليفته الشيخ إبراهيم التازي بمدينة وهران، فقد أورد ابن سعد في مؤلفه " النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب " أن ملوك بني زيان كانوا يرغبون في قضاء حوائج الشيخ إبراهيم التازي، فيبعثون له الرسائل طالبين مساعدته ومده بالمال، وأن السلطان الزياني أبو عبد الله محمد المتوكل (866هـ-873هـ) بعث كاتبه الفقيه أبي عبد الله بن الشيخ الصالح سيدي عيسى بن عبد السلام إلى الشيخ إبراهيم التازي بمدينة وهران ليطلب مشورته في أمر مهم¹¹².

و ممّا سبق، نستشف أن الشيخ الهواري لم تكن له مشكلة مع السلطة الزيانية، وذلك لأن الزيانيون منذ تأسيس دولتهم إلى حياة الشيخ الهواري وفي عهد خليفته إبراهيم التازي كانوا يظهرون للشيخ المتصوفة كل الاحترام والتقدير والتقديس طالبن البركة والرضا والقبول.

و لو تتبعنا موقف السلاطين الزيانيين الذين عاصروا تواجد الشيخ الهواري بمدينة وهران، لم نجد واحد منهم _ حسب المصادر التاريخية _ تسبب في معاداته وأذيته، بدءا بالسلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني الذي حكم من سنة 760هـ إلى سنة 791هـ، ثم يليه ابنه السلطان أبي تاشفين الثاني والذي حكم من سنة 791هـ إلى سنة 795هـ، ثم خلفه السلطان أبي ثابت يوسف بن أبي تاشفين والذي لم تزد مدة ملكه على 40 يوما، ثم تولى الحكم بعده السلطان أبي الحجاج يوسف بن أبي حمو والذي حكم من سنة 795هـ إلى سنة 796هـ، و استلم المملكة بعده السلطان أبي زيان بن أبي حمو وكانت مدة حكمه ما بين سنة 796هـ وسنة 801هـ، ثم جاء بعده ملوك دامت مدة حكمهم أسابيع و أشهر، إلى أن تولى الحكم السلطان أبي العباس أحمد العاقل من سنة 834هـ إلى سنة 866هـ¹¹³.

فاللافت للانتباه، أن كل هؤلاء السلاطين الزيانيين المذكورة أسمائهم لم تذكر المصادر التاريخية أنهم أساءوا إلى الشيخ الهواري و زاويته بوهران، بل ظهر منهم موقف التقديس والتبرك والتقرب من أهل التصوف و الولاية، وتقديم المعونات لهم و مشاوراتهم في الأمور المهمة، لهذا يبقى السؤال مطروحا، من هي الجهة في السلطة الزيانية التي أظهرت العدواة والخصومة و الأذية للشيخ الهواري بمدينة وهران، وأظهرت كما قال ابن سعد " التهاون بحرم الزاوية (يقصد زاوية الشيخ الهواري) وإخراج من استجاز بحرمها..."¹¹⁴، و سعت إلى أذية الشيخ الهواري و أتباعه؟ و للجواب على السؤال السابق، لابد لنا من الكشف عن حادثة تاريخية وقعت في عهد السلطان الزياني أبي العباس أحمد العاقل و عن واقعة تضمنت كرامة من كرامات الشيخ الهواري ذكرها صاحب "روضة النسرین" بإيجاز و صاحب "البستان" بتفصيل.

أما الحادثة التاريخية، فقد وقعت في سنة 838هـ، حيث تمرد الأمير أبو يحيى الزياني على أخيه السلطان أحمد العاقل، وأراد أن ينقلب عليه ويستولى على المملكة بمساعدة و مبايعة من موسى بن حمزة، وعبد الله بن عثمان، وسليمان بن موسى¹¹⁵.

و الظاهر، أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة يرجح كونهم من أشياخ القبائل العربية¹¹⁶، وذلك أن واحدا منهم وهو سليمان بن موسى قد ورد ذكره عند عبد الباسط ابن خليل الملقب (ت. 920هـ) في كتابه "نيل الأمل في ذيل الدول" في أحداث سنة 869هـ و ذلك في قوله: " وفيه مات أمير عربان تلمسان وملكهم سليمان بن موسى العمري. وكان كريما جدا، مثرى، كثير الجموع من بني هلال، وله حرمة فوق حرمة ملوك تلمسان وسلاطينها"¹¹⁷. وكذلك أشار إليه محمد بن إياس الحنفي (ت. 930هـ تقريبا) في تاريخه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" بقوله " وفيه (أي في شهر ذي الحجة سنة 869هـ) جاءت الأخبار ب وفاة صاحب تلمسان، الملك سليمان بن موسى العامري... ومات له من العمر نحو من سبعين سنة وزيادة، وكان له شهرة هائلة."¹¹⁸

و يبدو أن خطة الانقلاب على حكم السلطان أحمد العاقل فشلت، فاتجه أبو يحيى الزياني إلى مدينة وهران مع أشياخ عرب بني هلال الثلاثة، فاستولى على المدينة وتملكها، و كانت بينه وبين أخيه حروب واشتباكات كثيرة، انتهت بخروجه من وهران هاربا أمام جيوش أخيه أحمد العاقل، كان ذلك سنة 852هـ، ثم توفي سنة 855هـ¹¹⁹.

و الجدير بالذكر، أن سليمان بن موسى أمير عرب بني هلال و الذي بايع أبو يحيى الزياني وصار عوناً من أعوانه له أخ هو أيضا زعيما من زعماء عرب بني هلال، و اسمه عثمان بن موسى المسعودي العامري، وقد ورد ذكره في واقعة تضمنت إحدى كرامات الشيخ الهواري، وقد دخل في صراع و خصومة شديدة مع الشيخ الهواري¹²⁰.

والظاهر، أن عثمان بن موسى كان زعيما من زعماء عرب بني عامر القاطنين بمدينة وهران ونواحيها، وكان "من طغاة العرب المفسدين و ظلمتهم المسرفين"¹²¹ وكان " لا يبالي بأخذ الأموال و ذبح الرجال من غير سبب"¹²²، ويظهر أنه كان يتصرف في مدينة وهران بكل

حرية و بلا رقيب ولا رادع، بحيث يلاحظ غياب السلطة الزيرية عن حكم مدينة وهران و ضبط الأوضاع بها، لأنه وصلت به الجرأة أن يعتدي على أقوى شخصية دينية ورحية بهذه المدينة، لها حرمتها وهيبته و مكانتها عند الناس وحتى عند الدولة الزيرية، وهي شخصية الشيخ الهواري.

بحيث قام عثمان بن موسى بـ"أخذ مالا كثيرا لبعض من ينتمي إلى الشيخ سيدي محمد الهواري"¹²³، فتحرك الشيخ الهواري لوضع حد لظلم عثمان بن موسى، فطلب المساعدة من صديقه الشيخ الحسن بن مخلوف المقيم بتلمسان، وبعث له أحد خدامه، وقال له: إن الشيخ يقول لك: أنا لا أعرف هذا الانسان، و أنت تعرفه فاكتب له أن يرد ما أخذ لصاحبنا، فكتب الشيخ سيدي الحسن لأخيه سليمان بن موسى، ووكد عليه وقال له: اذهب بنفسك للهبيل أخيك، وقال له: ما وجدت ممن تتعدى عليه إلا من ينتسب للشيخ سيدي محمد الهواري، وسترى عاقبة أمرك إن لم ترد ما أخذت له في الحال..."¹²⁴.

و عليه، يظهر أن مدينة وهران كانت تحت سيطرة عثمان بن موسى المنتمي إلى عرب بني هلال، بحيث كان يمارس سياسية سلب الأموال من سكان وهران، حتى من الذين ينتسبون إلى عائلة الشيخ الهواري، ثم الملاحظ أن الشيخ الحسن بن مخلوف لم يتصل بالسلطان الزيري بتلمسان وتكلم مباشرة مع سليمان بن موسى ليردع أخاه عثمان، وهذا يشير إلى أن مدينة وهران كانت خارج سيطرة المملكة الزيرية بمدينة تلمسان، و واقعة فعلا في يد أشياخ عرب بني عامر الهلاليين.

و الظاهر، أن الشيخ الهواري بادر بنفسه إلى مواجهة العدوان والظلم الواقع عليه وعلى عائلته وأتباعه ومدينته وهران، فـ"كتب كتابا للصوص عثمان بن موسى يأمره برّد ما أخذ لذلك الإنسان الذي ينتمي إليه فزاد غُتوا"¹²⁵، حيث أن حادم الشيخ الهواري لما سلّم الكتاب إليه، أغلظ له في القول، و أمر بـ"بتكبير خديم الشيخ وتقييده"¹²⁶، وهنا تتدخل سلطة الشيخ المتصوف الخارقة للعادة وكرامة الولي الصالح كأداة وسلاح رباني لردع ظلم الظلمة و عدوان

المعتدين والفاستدين، وذلك عندما تعجز السلطة السياسية عن مواجهة الظلم والفساد الواقع على الناس.

فالرواية المناقبية، تذكر لنا أنه لما علم الشيخ الهواري بأن عثمان بن موسى تمادى في ظلمه وحبس خادمه واعتقله، غضب "غضباً شديداً حتى اسودّ وجهه، وقام على الفور، و دخل خلوته ساعة، و... يقول: مفرطح مفرطح، و كأنه يُبَيِّنُ لمأمور بإهلاكه صفة هلاكه"¹²⁷، ويبدو، أن غضب الشيخ الهواري ودعائه بمعاينة عثمان بن موسى قد تحقق أمام أعين الناس رجالاً و نساء، وذلك في يوم عرس، حيث كان عثمان بن موسى راكباً فرسه بمشي به في الملعب، فانتشر على لسان عامة الناس "أنهم رأوا شخصاً أبيض أخذه من فرسه، وضرب به الأرض، فوجدوا والعياذ بالله رأسه داخل في جوفه" مصروعاً ميتاً، فقام أهله من بني عامر على الفور، بإطلاق خادم الشيخ الهواري، و سلموا المال المنهوب إلى صاحبه، وذلك خوفاً من أن يمتد غضب وسخط الشيخ الهواري إليهم وإلى كل القبيلة¹²⁸.

ويلاحظ، أن سلاح الكرامة قد فعل فعله، و أن السلطة الروحية التي يمتلكها الشيخ الهواري تفوقت على سلطة سلاطين بني زيان، فكان خلاص سكان مدينة وهران من ظلم عثمان بن موسى العامري على يدي وليهم و حارس مدينتهم و "متولي أمرها" الشيخ الهواري، بل إن الناقل لحادثة مقتل عثمان بن سليمان، يؤكد أن سبب هلاكه هو أن الشيخ الهواري "اشتدّ غضبه؛ فدعا عليه قبل أن يصل عليه كتاب الشيخ سيدي الحسن مع أخيه الشيخ سليمان، ويحاول في قضاء الحاجة برفق"¹²⁹، مما يدل على أن النخبة العلمية في القرنين الثامن و التاسع الهجريين وما بعده تعتقد اعتقاداً راسخاً أن النكبات والأزمات الواقعة على المجتمع سببه المباشر هو اشتداد غضب الولي الصالح ودعائه، ومن هنا نفهم استمرار هذا الاعتقاد بعد احتلال الأسبان النصراني لمدينة وهران.

و تأكيداً على مدى ترسخ الاعتقاد بالقوة الرادعة التي يحملها غضب الشيخ الهواري ودعائه، أن نساء بني عامر أنفسهن سارعن إلى تحرير خادم الشيخ من قيده، و ردوا المال إلى صاحبه، لأنهن "تيقنوا أنه لم يهلكه (المراد عثمان بن موسى) الله إلا بسبب الشيخ، وكانت أمه

تصبح عليه قبل أن يهلكه الله، وتحذره من إغصاب الشيخ، والهلاك بسببه، فلم يلتفت إلى كلامها ولا إلى غيرها ممن يحذره من الشيخ لما سبق عليه من الشقاء¹³⁰، فكان غضب الشيخ الهواري ودعائه عند الخاصة والعامة في ذلك العصر سببا للهلاك والمذلة .

وهذا يتطابق مع الرواية الأسطورية التي ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري وبعده، وبعد احتلال الاسبان لمدينة وهران لمدة طويلة والتي تجعل السبب الرئيس لاحتلال مدينة وهران هو غضب الشيخ الهواري الشديد و دعائه ،مما يشير إلى الاعتقاد القوي والسائد لدى خاصة الناس وعامتهم أن أي أزمة تحدث لهم أو كارثة من الكوارث إلا وسببها غضب ولي من أولياء الله ودعائه عليهم بالهلاك تبريرا لضعفهم وعجزهم و لنكساتهم و انهزاميتهم،مما جعلهم يحتلقون مثل هذه القصص المشبعة بخوارق العادات و الأعمال الخيالية التي تفوق قدرة البشر.

والراجح أن يكون من اعتدى عليه عثمان بن موسى العامري ،فاستولى على ماله، و الذي وُصف في الرواية المناقبية بأنه "ينتمي" و "ينتسب" للشيخ محمد الهواري ،هو أحد أقارب الشيخ الهواري، ويحتمل أن يكون أحد أبنائه، و الذي ورد ذكره في رواية "أبي راس" و "ابن زرفة" و "الراشدي" وغيرهم، ويحتمل أن الذين تناقلوا خبر مقتل ابن الشيخ الهواري في القرن الثالث عشر الهجري، اعتمدوا على ما لحق ابن الشيخ الهواري من عدوان على يد عثمان بن موسى، فبعدما كان هذا العدوان يتمثل في الاستلاء على المال بالغصب تحول عند الناقلين للأخبار في القرن الثالث عشر الهجري إلى عدوان بالقتل.

واللافت للانتباه، أن من سهّل احتلال الاسبان لمدينة وهران هم عرب بنو عامر الهلاليين، وفي الاعتداء الذي وقع على الشيخ الهواري وعائلته كان المتهم الرئيس هو زعيما من زعماء عرب بني عامر ، لهذا يُحتمل أن هؤلاء عرب بنو هلال أرادوا تبرئة أنفسهم من ذلك العدوان ومن غضب الشيخ الهواري ودعائه،وفي نفس الوقت خدمة الاحتلال الاسبان بنشر روح الاستسلام و الخضوع،فقاموا بالترويج لتلك الرواية التي تقول أن سبب احتلال الاسبان لوهران هو اعتداء كل سكان وهران على ابن الشيخ الهواري بالقتل،و ما تبعه من غضب

الشيخ الشديد عليهم ودعائه بمعاقة أهل وهران بسقوط مدينتهم في براثن الاحتلال الاسباني النصراني.

مما سبق، نلاحظ أن هناك حادثة اعتداء تعرض لها الشيخ الهواري بمدينة وهران، والتي كان سببها عثمان بن موسى، أحد أشياخ بني عامر الهلاليين، ومن تصرفاته يظهر أنه كان مسيطرا على مدينة وهران يتصرف فيها كما يريد، ورغم أن النصوص التاريخية لا تمدنا بأي معلومة عن حادثة اعتداء عثمان بن موسى على أقارب للشيخ الهواري، وكل ما وصلنا نص مناقبي لكرامة من كرامات الشيخ الهواري من خلالها اكتشفنا ما حدث بين الشيخ الهواري وعثمان بن موسى العامري.

و السؤال الذي يطرح نفسه، هل حادثة اعتداء عثمان بن موسى العامري على أحد أقارب الشيخ الهواري وعلى خادمه وقعت قبل أن يتملك الأمير أبو يحيى الزياني مدينة وهران سنة 838هـ، أم أن هذه الحادثة كانت تحت مرأى ومسمع الأمير الزياني، و بموافقة منه، وبمساندة من الأشياخ العرب الثلاثة وبالأخص من سليمان بن موسى أخ عثمان بن موسى العامري؟

يمكن أن نفترض أنه بعد ما تملك الأمير أبو يحيى الزياني مدينة وهران، وانفرد بحكمها مدة أربعة عشرة سنة، من سنة 838هـ إلى سنة 852هـ، قَرَّب إليه الأشياخ الثلاثة من بني عامر الهلاليين المتحالفين معه، وعلى رأسهم سليمان بن موسى، و الذي من المحتمل أنه ضم إليه أخاه عثمان العامري، ليصير عوناً من أعوان الأمير يحيى الزياني وعاملاً من عماله، ويتصرف كما يريد في مدينة وهران بلا رادع ولا رقيب، ممّا مكّنه من أخذ أموال سكان وهران غصبا وقهرا، حتى وصل ظلمه إلى الشيخ الهواري وعائلته.

وبناء على الاحتمال السابق، فيمكن اعتبار أن عدوان عثمان بن موسى العامري الهلالي هو عدوانا من السلطة الزيانية المتمثلة في الأمير أبو يحيى الزياني، لكون عثمان العامري ما تصرف بتلك الطريقة إلا لكونه عوناً من أعوان الحاكم الزياني الجديد لمدينة وهران أبو يحيى الذي كان متحالفا مع أمراء عرب بني عامر و متواطئا معهم.

ولكن ما افترضناه سابقا، من أن عدوان عثمان بن موسى العامري على الشيخ الهواري و على أتباعه وقع في فترة تملك الأمير أبو يحيى الزياني لمدينة وهران يضعف أمام جملة من الأمور، منها أنه ليس هناك نص تاريخي واضح يحدد لنا السنة التي حدثت فيها واقعة اعتداء عثمان العامري.

ثم لو كانت هذه الواقعة في المدة التي حكم فيها الأمير الزياني أبو يحيى مدينة وهران، لقام الشيخ الهواري بالاتصال بهذا الأمير مباشرة أو بأحد عماله، ولكن بدل من ذلك، وبسبب عدم معرفة الشيخ الهواري لعثمان بن موسى العامري، طلب من صديقه المقرب الشيخ الحسن بن مخلوف أن يرأسه، فقام الشيخ الحسن مخلوف بالكتابة إلى أخيه سليمان بن موسى ليمنعه من عدوانه، مما يدل على أن مدينة وهران لم تكن تحت حكم الأمير الزياني أبو يحيى، وإنما صارت تابعة لعثمان بن موسى العامري بصفته واليا أو مستبدا بحكمها.

وكذلك، من المؤشرات التي تنفي وقوع حادثة اعتداء عثمان العامري على الشيخ الهواري وعائلته في عهد دخول مدينة وهران تحت حكم الامير أبو يحيى الزياني، ما ذكره صاحب كتاب "روضة النسرين"، عن العلاقة الطيبة والمعاملة الحسنة التي كانت بين هذا الأمير و الشيخ إبراهيم التازي خليفة الشيخ الهواري، حيث كان يتودد إليه، و يمدد بالمال والأعطيات، بل ويأتي إليه في زوايته بنفسه ليقدم له المساعدات المالية.

فقد ذكر ابن سعد، أن الشيخ إبراهيم بينما هو مجتمعاً مع أصحابه، "وإذا بحاجب الخليفة في وهران حينئذ السلطان المولى أبو يحيى واقف على الباب مع الخليفة أبي يحيى يستأذن على الشيخ في وقت ليس من عادته الخروج منه عن قصره فيه، فدخل السلطان على الشيخ ومعه قرطاس من ذهب بيد الحاجب، فقال له يا سيدي إنه قد تحرك في خاطري الوقوف عليك في هذا الوقت الوقوف عليك، فأتيتك بهذه النفقة لتستعين بها على ما أنت عليه من سبيل الخير، واصطناع المعروف، فتبسم سيدي إبراهيم وقال له: ادفعها لهذا للفقير".

فهذا اللقاء الودي بين سلطان وهران أبو يحيى الزياني والشيخ إبراهيم التازي يدل على مدى الود والتقدير والاحترام الذي كان يُظهره هذا الأمير الزياني للمتصوفة في مدينة

وهران، فكيف له أن يرضى و هو سلطان على مدينة وهران، بأن يتعرض الشيخ الهواري وأقاربه وأتباعه إلى عدوان و أذية وظلم من زعيم من زعماء عرب بني عامر الهلاليين.

و بسبب تحافت الفرضية التي تجعل من واقعة اعتداء عثمان بن موسى العامري على أقارب الشيخ الهواري وأتباعه حدثت بعد أن صار الأمير الزياني أبو يحيى، سلطانا على مدينة وهران، نُرجح أن هذه حادثة الاعتداء وقعت قبل سنة 838هـ، و مما يقوي هذا الاحتمال، وهو وقوع منطقة المغرب الأوسط تحت سيطرة ونفوذ قبائل عرب بني هلال في القرن الثامن الهجري، حتى أن زعماء هذه القبائل وصل بهم الأمر، إلى التحكم في بعض مدن التابعة للمملكة الزيانية.

و مما يدل بوضوح على مدى السطوة و القوة التي بلغت القبائل العربية الهلالية بالمغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري، الفتوى التي أوردتها الونشريسي في كتابه "المعيار" ، والتي تتناول مسألة أرسلها الفقيه أبو العباس أحمد المعروف بالمريض إلى الإمام أبو عبد الله بن عرفة يسأل فيها عن "قتال المغيرين وقطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط م سنة 769هـ"¹³¹ من " الديلم وسعيد رباح وسؤيد وبني عامر"¹³² ، وتضمن سؤال الفتوى عدد هؤلاء العرب المعتدين و ممارستهم العدوانية، والذين كانوا " ما بين فارسها و راجلها عشرة آلاف أو تزيد"¹³³.

و قد مارس عرب بنو هلال كل أنواع العدوان من قطع الطريق وقتل الناس و اغتصاب الأموال والتعدي على الحرمات، فذكر الفقيه أبو العباس أحمد أن عملهم تجاه سكان المغرب الأوسط هو "الغارات، وقطع الطرقات على المساكين، وسفك دمائهم، وانتهاب أموالهم بغير حق ويأخذون حُرْم الإسلام أبكارا وثيبا، قهرا وغلبة. هذا دأب سلفهم وخلفهم"¹³⁴، من العدوان والسلب والنهب.

وبسبب قوة هذه القبائل العربية الهلالية و سطوتها ونفوذها، عجزت السلطة الزيانية على مقاومتها و ووقف نشاطها العدواني، بل حاولت التقرب من زعمائها و التودد إليهم بإرسال الهدايا إليهم، و تنصيبهم عمالا و ولاية على بعض مدن المغرب الأوسط، فذكر الفقيه أبو العباس

أحمد في سؤاله للشيخ ابن عرفة أن " أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم، فضلاً عن ردعهم. بل إنما يداريهم بالأعطية والإنعام، ببعض بلاد رعيته، ونصب عمالهم فيها، وقطع نظر عمال السلطنة عن النظر في حياتها وفصل أحكامها"¹³⁵.

وهذا يدل على أن زعماء عرب بني هلال في المغرب الأوسط، وخلال القرن الثامن الهجري، صاروا يتحكمون في شؤون بعض المدن التابعة للسلطة الزيانية، بصفتهم عمالا و نوابا للسلطة الزيانية الضعيفة أمامهم، ومن غير المستبعد أن مدينة وهران كانت ضمن هذه المدن الواقعة سيطرة أمراء عرب المغرب الأوسط من بني عامر وغيرهم.

وعليه، فمن المحتمل أن مدينة وهران في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وقبل أن يمتلكها الأمير أبو يحيى الزياني، وقعت تحت حكم عرب بني عامر، بصفتهم عمالا و ولاية تابعين للمملكة الزيانية، وبالتالي كان عثمان بن موسى زعيم عرب بني عامر واليا عليها، مما جعله يتصرف في هذه المدينة بطريقة عدوانية وظالمة، حتى وصلت به الجرأة التطاول على أقارب الشيخ الهواري وعلى خادمه و الانتقاص من مكانته الدينية و الاجتماعية.

و تأسيسا على ما سبق، نستشف أن السلطة الزيانية بمدينة تلمسان والتي كانت تتمثل في السلطان الزياني أحمد العاقل، لم تكن هي المسؤولة عن ذلك الاعتداء والأذية التي تعرض لها الشيخ الهواري وعائلته، بدليل أن الشيخ الحسن بن مخلوف ليردع عثمان بن موسى عن ظلمه لم يتصل بالسلطان الزياني المقيم بتلمسان والذي تربطه به رابطة قوية، واتصل بموسى أخو عثمان، لأن السلطان الزياني أحمد العاقل لم يكن هو المتحكم في مدينة وهران، و لم يكن له من ينوبه من الولاية و العمال بتلك المدينة.

و تأسيسا على ما سبق، يتضح أن سلاطين بني زيان بتلمسان والذين عاصروا الشيخ الهواري المقيم بوهران، لم يتعرضوا لأذية الشيخ الهواري و التعدي على أقاربه مباشرة و بموافقة منهم، بل المتسبب في ذلك عثمان بن موسى أحد زعماء عرب بني عامر الهلاليين، والذي كان له السلطة المطلقة في مدينة وهران، إما على افتراض أنه نائبا عن الأمير الزياني أبو يحيى، أو بسبب النفوذ القوي لقبائل عرب بني هلال بمنطقة المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن

والتاسع الهجريين، ربما تمكن الزعيم العامري عثمان بن موسى بالسيطرة على مدينة وهران و حكمها، إما بالقوة أو أرغم السلطة الزيانية الضعيفة بتنصيبه عاملا وواليا على وهران .
ولعل ما يجعل عثمان بن موسى العامري يتصرف في مدينة وهران بدون تنسيق و موافقة من المملكة الزيانية، هو أن الشيخ الحسن بن مخلوف ليردع هذا المعتدي لم يتصل بالسلطان الزياني المقيم بتلمسان، رغم وثاقة علاقته بسلاطين بني زيان، واتصل بموسى أخو عثمان، لأن السلطان الزياني لم يكن له سلطة على عمال و ولاية مدينة وهران في أكثر الأحوال.
و الملاحظ، أن الشيخ الهواري لم يكن فقط في مواجهة و صدام مع أحد زعماء عرب بني عامر، بل أيضا، تعرض لمناوشات مع بعض عمال و ولاية مدينة وهران، والذين عمدوا إلى الاعتداء على حرمة زاوية الشيخ الهواري واقتحامها بقوة، و إخراج من كان فيها من اللاجئين إليها، المحتمين بجرمها، هروبا من بطش هؤلاء العمال¹³⁶، إلا أننا لا نعرف هوية هؤلاء العمال والولاية، فابن سعد، الذي نقل لنا خبرهم، لم يحدد لنا أسمائهم، ولم يذكر لنا صلتهم بالمملكة الزيانية، وهل كانوا يتصرفون من أنفسهم بدون الرجوع إلى السلطان الزياني بحاضرة تلمسان، أم كانوا تحت حكمه وسلطته، أم هم من زعماء عرب بني عامر، والذين عينهم سلطان دولة بني زيان عمالا و ولاية على بعض المدن خوفا منهم وطمعا في استمالتهم.

4. خاتمة:

نستخلص مما سبق، أن موقف الشيخ محمد بن عمر الهواري من السلطة هو مقاطعتها والانعزال عنها والزهد في أعطياتها وهباتها، وذلك تحريا للحلال الطيب والتمسك بخلق الورع و الزهد، متأثرا في ذلك بمدرسة الحقيقة والشرعية، والتي يقودها تيار الفقهاء الصوفية، و من أبرز قادة هذا التيار شيوخ الشيخ الهواري، الشيخ أحمد بن إدريس الأيلولي و الشيخ عبد الرحمن الوغليسي البجائيين، و وقاية من الوقوع في فخ الاحتواء والتسخير والتوظيف من السلطان وأعوانه.

و رغم أن الشيخ الهواري التزم منطق الحياد و الانعزال و الابتعاد عن دائرة السلطان وشؤونه، إلا أنه تعرض إما إلى مضايقات من عمال مدينة وهران و ولايتها لاقتحام حرم زاويته

والقبض على من احتمى بها أو إلى خصومة و عداوة شديدة من جهة لها نفوذ قوي، تعدت على زاويته وعلى أتباعه بالسلب والاهانة، أو إلى عدوان غاشم من عثمان بن موسى، زعيم من زعماء عرب بني عامر الهلاليين، والذي يبدو أنه كان يُدير مدينة وهران، إما حاكما لهذه المدينة بدون الرجوع إلى سلاطين بني زيان، أو أن المملكة الزيانية نفسها قبلت مرغمة أن يكون واليا على هذه المدينة، وذلك بسبب النفوذ القوي لقبائل عرب بني هلال في منطقة المغرب الأوسط، خلال القرن الثامن الهجري.

مختصر القول، اعتمد الشيخ الهواري في تعامله مع السلطان سياسة العزلة والمقاطعة السلمية، بحيث اجتنب الاقتراب من السلطة، وفي نفس الوقت، لم يعمل على التخطيط للثورة عليها، أو منافستها و الدعوة إلى التمرد عليها، متفرغا لرسالته الدينية التربوية الاجتماعية الإصلاحية، في تربية وتعليم وإصلاح أفراد المجتمع، قاصدا صلاح السلطة الحاكمة بصلاح الرعية، طبقا لمقولة شيخ متصوفة الديار المغربية أبو مدين شعيب: "بفساد العامة تظهر ولاية الجور"¹³⁷.

5. قائمة المصادر و المراجع:

1.5. المصادر:

أ_ المخطوطات:

1. مُجَدِّد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن الدحاوي ابن زرفة، الرحلة القمرية في السيرة الحمديدية، مخطوط بخط الشيخ البشير محمودي البرجي المعسكري رحمه الله فرغ من نسخها في 20 سبتمبر 1960م.

ب. المصادر المطبوعة:

2. أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، سنة 2013.

3. أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2013م.
4. إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط.
5. التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهزامة، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، سنة 2000.
6. التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بين زيان، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعلياد، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2011.
7. أبي راس محمد بن أحمد الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقديم وتحقيق المخطوط محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، البرنامج الوطني للبحث: السكان والمجتمع، منشورات كراسك، سنة 2005.
8. زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الملقب ثم القاهري الحنفي، نيل الأمل في ذيل الدول، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1422 هـ / 2002 م، ج6.
9. السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج4.
10. عبد الرحمن ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 14025هـ/2004
11. ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1419هـ، ج2.
12. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج1.

- 13_ أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، درّة الحجال في أسماء الرجال، التحقيق: مُحمّد الأحمدي أبو النور، دار التراث (القاهرة) - المكتبة العتيقة، تونس، ط1391، 1هـ-1971م، ج2.
14. ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، سنة 1983.
15. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1424هـ، ج1.
16. ابن مريم الملقب بالمديوني التلمساني، تحقيق: عبد القادر بُوبَايَة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1435هـ-2014م.
17. المزاري الآغا بن عوّدَة، طلوع سّعد السّعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى القرن التاسع عشر، تحقيق و دراسة يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي.
18. المقرئ شهاب الدين أحمد بن مُحمّد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان، ج7.
19. مُحمّد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، التحقيق: مُحمّد مصطفى، مكتبة دار الباز، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ج4.
20. مُحمّد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسر في التعريف بالأشياء الاربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، سنة 2009م.
21. مُحمّد بن سعد التلمساني، مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق: بلحاج مُحمّد، مذكر لنيل شهادة الماجستير (مخطوطة)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، السنة الجامعية: 2007 - 2008م.
22. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، سنة 1414هـ، ج2.

23. محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار وهران، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2013م.
24. الونشريسي أبو العباس، أحمد بن يحيى، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1401هـ/1981م، ج6.
25. الونشريسي أحمد بن يحيى، كتاب وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر.
26. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، سنة 1400هـ/1980م، ج1.
- 2.5. المراجع
27. بلعربي خالد، مباحث في حركة التصوف بالغرب الإسلامي، خلال عصر المحدثين - الموحدين - الزيانيين، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، سنة 2020.
28. بلعربي خالد وآخرون، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، سنة 2019م.
29. الطاهر بوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين/ 12 و 13 الميلاديين (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.
30. الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / 14-15 الميلاديين، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط (القسم الثاني) (مخطوطة)، السنة الدراسية: 1429 - 1430هـ/2008 - 2009م.
31. الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1981م.

32. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، سنة 1998 م، ج7.

33. مُحمَّد بن مُحمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ج1.

3.5. المجلات

34. أحسن زقور، منهجية سيدي الهواري الفقهية من خلال مخطوط كتاب "السهو و التنبيه"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 8، عدد خاص، جوان 2012 م.

35. فاطمة بلهوارى، الرحلة العلمية للشيوخ مُحمَّد بن عمر الهواري، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، سنة 2012، المجلد 1، العدد 1.

36. مُحمَّد لعباسي، العالم الجليل مُحمَّد بن مُحمَّد الهواري من خلال كتابات أبي راس، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 13، جوان 2017.

6. هوامش:

¹ للمزيد ينظر، الطاهر بوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، من ص. 195 إلى ص. 209. الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / 14-15 الميلاديين، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط (القسم الثاني) (مخطوطة)، السنة الدراسية: 1429 - 1430 هـ / 2008 - 2009 م، من ص. 697 إلى ص. 712. بلعربي خالد وآخرون، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، سنة 2019 م، ص. 55.

² أحسن زقور، منهجية سيدي الهواري الفقهية من خلال مخطوط كتاب "السهو و التنبيه"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 8، عدد خاص، جوان 2012 م، ص. 76.

- ³ محمد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الاربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، سنة 2009م، ص 35.
- ⁴ أحمد بن يحيى الونشريسي، كتاب وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوايع الفكر، ص 90.
- ⁵ ابن سعد، روضة النسرين، ص 42.
- ⁶ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، سنة 2013م، ص 452.
- ⁷ ابن معمر، محمد، حفريات في تاريخ قلعة هواره من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 12، ديسمبر 2017م، صص 177، 178، 181، 196.
- ⁸ محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار وهران، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، سنة 2013م، ص 56.
- ⁹ ابن سعد، روضة النسرين، ص 36.
- ¹⁰ ابن سعد، روضة النسرين، صص 36.
- ¹¹ ابن سعد، روضة النسرين، صص 36، 37.
- ¹² ابن سعد، روضة النسرين، ص 37.
- ¹³ ابن سعد، روضة النسرين، ص 37.
- ¹⁴ كلميتو: "مدينة أثرية تُعرف الآن بالسور (صور)، قرب عين تدلس" بولاية مستغانم. أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني، الهامش رقم 1، ص 453.
- ¹⁵ ابن سعد، روضة النسرين، ص 37.
- ¹⁶ السياحة: لغة: "الدَّهَابُ فِي الْأَرْضِ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّوَهُُّبِ". وفي التعريف الصوفي فإن: "السياحة في أفطار الأرض مطلوبة عند الصوفية في بداية المريد، أقلها سبع سنين... وفيها فوائد، منها: زيارة الإخوان، والمذاكرة معهم، وهي ركن في الطريق، ومنها: نفع عباد الله، إن كان أهلاً لتذكيرهم، ومنها: تأسيس باطنه وتشحيد معرفته... ومنها: أنه قد يلقى في سياحته من يريخ منه، أو يزيد به إلى ربه." و"السياحة والأسفار على ضربين: سياحة لتعلم أحكام الدين وأساس الشريعة، وسياحة لأداب العبودية ورياضة الأنفس، فمن رجع عن سياحة الأحكام قام بلسانه يدعو الخلق إلى ربه، ومن رجع من سياحة الأدب والرياضة قام في الخلق يهديهم لأخلاقه وشمائله". ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3، سنة 1414هـ، ج 2، ص 492. ابن

- عجبية، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1419هـ، ج2، ص.422. ج3، ص.309.
- ¹⁷ أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، سنة 2000، ص.516.
- ¹⁸ ابن سعد، روضة النسرین، ص.37.
- ¹⁹ ابن سعد، روضة النسرین، ص.37.
- ²⁰ ابن سعد، روضة النسرین، ص.37.
- ²¹ فاطمة بلهوارى، الرحلة العلمية للشيخ محمد بن عمر الهوارى، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، سنة 2012، المجلد 1، العدد 1، ص.13.
- ²² ابن سعد، روضة النسرین، ص.40.
- ²³ ابن مريم، البستان، ص.400.
- ²⁴ إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج1، ص.255.
- ²⁵ عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، تحقيق: محمد بن تاوويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 14025هـ/2004، ص.200.
- ²⁶ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص.255.
- ²⁷ الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ص.412.
- ²⁸ ابن مريم، البستان، ص.400.
- ²⁹ ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، سنة 1983، ص.316. التنبكي، نيل الابتهاج، ص.248.
- ³⁰ الطاهر بوناني، الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، صص.412، 413.
- ³¹ التنبكي، نيل الابتهاج، ص.516.
- ³² ابن مريم، البستان، ص.400.
- ³³ ابن سعد، روضة النسرین، ص.40.
- ³⁴ ابن سعد، روضة النسرین، ص.40.

- ³⁵ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 604.
- ³⁶ محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ج 1، ص. 338.
- ³⁷ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 102.
- ³⁸ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، سنة 1424 هـ، ج 1، ص. 71.
- ³⁹ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 102.
- ⁴⁰ ابن سعد، روضة النسر، ص. 42.
- ⁴¹ ابن مريم، البستان، ص. 400.
- ⁴² شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 4، صص. 171، 176.
- ⁴³ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 516.
- ⁴⁴ ابن مريم المليتي المدائني التلمساني، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1435 هـ - 2014 م، ص. 400.
- ⁴⁵ ابن سعد، روضة النسر، ص. 113.
- ⁴⁶ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 516.
- ⁴⁷ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 516.
- ⁴⁸ ابن مريم، البستان، ص. 400.
- ⁴⁹ ابن سعد، روضة النسر، ص. 35.
- ⁵⁰ أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، التحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث (القاهرة) - المكتبة العتيقة، تونس، ط 1، 1391 هـ - 1971 م، ج 2، ص. 289.
- ⁵¹ ابن مريم، البستان، ص. 401.
- ⁵² أحسن زقور، منهجية سيدي الهواري الفقهية من خلال مخطوط كتاب "السهو و التنبيه"، ص. 74.
- ⁵³ فاطمة بلهوار، الرحلة العلمية للشيخ محمد بن عمر الهواري، ص. 19.
- ⁵⁴ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 516.
- ⁵⁵ ابن سعد، روضة النسر، ص. 113.

- ⁵⁶ ابن سعد نروضة النسرين، الهامش رقم 1، ص. 113.
- ⁵⁷ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، ص. 13.
- ⁵⁸ محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن الدحاوي ابن زرفة، الرحلة القمرية في السيرة الحمديّة، مخطوط بخط الشيخ البشير محمودي البرجي المعسكري رحمه الله فرغ من نسخها في 20 سبتمبر 1960.
- ⁵⁹ محمد بن أحمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقديم وتحقيق المخطوط محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، البرنامج الوطني للبحث: السكان والمجتمع، منشورات كراسك، سنة 2005.
- ⁶⁰ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، سنة 2013.
- ⁶¹ الأغا بن عودة المزارى، طلول سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى القرن التاسع عشر، تحقيق و دراسة يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي.
- ⁶² ابن مريم، البستان، ص. 404.
- ⁶³ ابن مريم، البستان، ص. 404.
- ⁶⁴ ابن مريم، البستان، ص. 404.
- ⁶⁵ ابن مريم، البستان، ص. 404.
- ⁶⁶ الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، صص. 415، 702.
- ⁶⁷ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 516.
- ⁶⁸ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص. 57.
- ⁶⁹ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص. 289.
- ⁷⁰ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 564.
- ⁷¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص. 57.
- ⁷² التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 566.
- ⁷³ التنبكي، نيل الابتهاج، ص. 566.
- ⁷⁴ التنبكي، نيل الابتهاج، صص. 566، 567.
- ⁷⁵ الونشريسي، المعيار، ج2، ص. 480.

- ⁷⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.57.
- ⁷⁷ الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ص.697.
- ⁷⁸ هناك سبب آخر أشار إليه محمد بن يوسف الزياتي في "دليل الحيران" بقوله "ثم استقر أخيرا بوهران بلد أسلافه"، أي أن مدينة وهران هي موطن آبائه وأجداده المغراويين، فالشيخ الهواري مغراوي النسب والأصل، و قبيلة مغراوة موطنها بمدينة وهران، وهذه القبيلة هي من أسست مدينة وهران حسب المصادر التاريخية، وبالتالي عودة الشيخ الهواري إلى وهران هو عودة إلى وطنه الأول. محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران، ص.57.
- ⁷⁹ محمد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسرين، ص.113.
- ⁸⁰ محمد بن أحمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار، ج1، ص.112.
- ⁸¹ محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن الدحاوي ابن زرفة، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بخط الشيخ البشير محمودي البرجي المعسكري رحمه الله فرغ من نسخها في 20 سبتمبر 1960، ورقة.22.
- أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الوهراني، صص. 463، 464. أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، القول الأوسط، ص.58.
- ⁸² محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن الدحاوي ابن زرفة، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بخط الشيخ البشير محمودي البرجي المعسكري رحمه الله فرغ من نسخها في 20 سبتمبر 1960، ورقة.22.
- ⁸³ "قصيدة (حزب العارفين) الملحونة التي نظمها موسى بن علي اللالتي، وهي التي شرحها... محمد بن سليمان في كتابه (كعبة الطائفين)، وقصيدة حزب العارفين تتحدث عن أهل الصلاح من الأولياء والصالحين وعن أهل الطلاح من الأشرار"، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص.252.
- ⁸⁴ أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الوهراني، صص. 463، 464.
- ⁸⁵ محمد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسرين، ص.113.
- ⁸⁶ محمد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسرين، ص.113.
- ⁸⁷ محمد لعباسي، العالم الجليل محمد بن محمد الهواري من خلال كتابات أبي راس، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 13، جوان 2017، ص.120.
- ⁸⁸ الأغا بن عوادة المزاري، طلوع سعد السعود، ج1، الإحالة رقم 3، صص 71، 72.
- ⁸⁹ ابن سعد، روضة النسرين، ص.43، 44.
- ⁹⁰ ابن سعد، روضة النسرين، صص. 178، 179.
- ⁹¹ ابن سعد، روضة النسرين، صص. 178، 179.

⁹² ابن سعد، روضة النسر، ص. 113.

⁹³ بعض الباحثين يشككون حتى في نسبة كتاب "طلوع سعد السعود" للآغا بن عودة المزارى، ويرون أن صاحب الكتاب الأصلي هو مُحمَّد بن يوسف الزياتي، والذي كان بدوره شيخا للآغا بن عودة المزارى. ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، سنة 1998 م، ج 7، ص. 382. مقدمة المحقق ضمن كتاب "طلوع سعد السعود"، الآغا بن عودة المزارى، من ص. 38 إلى ص. 44.

⁹⁴ علّق الباحث محيى بوعزيز محقق كتاب "طلوع سعد السعود" على موقع (وادي الهائج) بقوله: "الواد الهائج لم نجد له أثرا في الخرائط، ولم نجد من يعرفه من كبار السن، ولكنه على أي حال يوجد ما بين وهران وسيق لأن المزارى يتحدث عنه عند ذكره لحوادث المنطقة". الآغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود، الهامش رقم 2، ص. 73. أشار صاحب كتاب "الثغر الجماني" إلى يوم مشهور يسمى بـ "يوم الهائج"، وهو يوم اشتبك فيه الاسبان النصارى بالمجاهدين من الجزائريين والأتراك في مدينة وهران، فاستطاع الاسبان في أول الأمر تحقيق النصر، ولكن بعد مدة قصيرة قام المجاهدون بمعاودة الهجوم وهزيمة النصارى الاسبان هزيمة ساحقة. أحمد بن مُحمَّد الراشدي، الثغر الجماني، ص. 201.

⁹⁵ مُحمَّد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران، ص. 60. الآغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود، ص. 73.

⁹⁶ مُحمَّد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران، ص. 61. الآغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود، ص. 73.

⁹⁷ ابن سعد، روضة النسر، صص. 162، 183.

⁹⁸ ابن سعد، روضة النسر، صص. 149، 174.

⁹⁹ مُحمَّد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسر، ص. 113.

¹⁰⁰ تاريخ ولادة ابن سعد غير معروفة ولكن اجتهد الباحث بلحاج مُحمَّد في التعرف على سنة وفاة ابن سعد فرجح أن ولادته كانت في "بداية العقد الرابع من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي (أي 831هـ/1427م)". ابن سعد التلمساني، مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق: بلحاج مُحمَّد، مذكر لنيل شهادة الماجستير (مخطوطة)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، السنة الجامعية: 2007 – 2008م، ص. 26.

¹⁰¹ بلعربي خالد، مباحث في حركة التصوف بالغرب الإسلامي، خلال عصر الموحدين – الموحدين -

الزيانيين، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، سنة 2020، ص. 98.

¹⁰² الطاهر بوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين، ص. 202.

- ¹⁰³ الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1981م، ص.312.
- ¹⁰⁴ يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، سنة 1400هـ/1980م، ج1، ص.112.
- ¹⁰⁵ نفس المصدر، ص.118.
- ¹⁰⁶ المصدر نفسه، صص.114، 115. إسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، ص.56.
- ¹⁰⁷ ابن مريم، البستان، ص.142، الهامش رقم3.
- ¹⁰⁸ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بين زيان، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعيداد، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2011، ص.211.
- ¹⁰⁹ المصدر نفسه، ص.248.
- ¹¹⁰ ابن مريم، البستان، صص.404، 405.
- ¹¹¹ ابن سعد، روضة النسر، ص.111.
- ¹¹² ابن سعد التلمساني، مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق: بلحاج محمد، صص.116، 117.
- ¹¹³ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، من ص.157 إلى ص.247.
- ¹¹⁴ ابن سعد، روضة النسر، ص.213.
- ¹¹⁵ التنسي، تاريخ بني زيان، ص.249.
- ¹¹⁶ التنسي، تاريخ بني زيان، رقم الهامش 683، ص.249.
- ¹¹⁷ زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الملقب ثم القاهري الحنفي، نيل الأمل في ذيل الدول، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1422 هـ / 2002 م، ج6، ص.219.
- ¹¹⁸ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، التحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ج4، ص.431.
- ¹¹⁹ التنسي، تاريخ بني زيان، ص.249.
- ¹²⁰ ابن سعد، روضة النسر، ص.112.

- 121 ابن سعد، روضة النسرين، ص. 112.
- 122 ابن مريم، البستان، ص. 406.
- 123 ابن مريم، البستان، ص. 406.
- 124 ابن مريم، البستان، ص. 406.
- 125 ابن مريم، البستان، ص. 406.
- 126 ابن سعد، روضة النسرين، ص. 112.
- 127 ابن مريم، البستان، ص. 406.
- 128 ابن سعد، روضة النسرين، ص. 112.
- 129 ابن مريم، البستان، ص. 406.
- 130 ابن مريم، البستان، صص. 406، 407.
- 131 أبو العباس، أحمد بن يحيى الوشيري، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1401هـ/1981م، ج 6، ص. 153.
- 132 الوشيري، المعيار، ج 6، ص. 153.
- 133 الوشيري، المعيار، ج 6، ص. 153.
- 134 الوشيري، المعيار، ج 6، ص. 153.
- 135 الوشيري، المعيار، ج 6، ص. 153.
- 136 محمد بن سعد التلمساني الأنصاري، روضة النسرين، ص 113.
- 137 شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان، ج 7، ص. 143.